AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01000 2842

04-83735

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
CAIRO

بين حربين

D
727
I3x
1945

[دراسة تفصيلية لتجنب الأخطاء
فى عالم « ما بعد الحرب »].

١١٠٦٥٧

محمد عبد الفتاح ابراهيم
صاغ (أركان الحرب)

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
١٩٤٥

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY CAIRO

~~940.5314 M12 L~~

٩٤٠،٥٢
١م . ب

27701

اليك . . .

أهدى هذه الصفحات .

عبد الفتاح ابراهيم

هذا الكتاب

ليس فى هـذا الـكتاب ما يمكن أن يقال عنه إنه ليس جديدا فى عرضه وتقديمه وتبويبه ، ثم فى الأسلوب الذى يقص به . . ، إنه يجمع تاريخ العالم فى سنين تصل إلى العشرين ... وتعتبر فى مجموعها أحرج مدة فى تاريخ البشرية مرت بالأمم كلها ... وهذا شىء قد لا يكون مجهولا من كل الناس ، ولـكن الجديد هنا أن الحديث ليتعمق إلى أدق التفاصيل التى تكشف الستار عن كثير من الأسرار التى كانت علة جهل الناس بسير الحوادث فى العالم طوال هذه الفترة . . ، وكان هذا الجهل هو السبب المباشر لأن يجـد الناس فى الحرب سبيلا إلى الفكاك من حياة القلق والاضطراب اللذين غلبا على كل شىء .

ان هذا الـكتاب دراسة منطقية للأسباب التى أدت إلى الحرب العالمية الثانية ويمكن كذلك أن تـكون بدورها مرشداً لدنيا الغد . . . العالم الذى يجىء بعد هذه الحرب الحالية ؟ .

الناشر

تمهيد

في الأعوام العشرة الأولى التى تلت الصلح الذى جاء وليد الحرب العالمية الأولى اهتز العالم فى أكثر من مكان بثورات أغلبها محلية ، ولكنها كانت مع هذا ذات تأثير كبير فى المجموعة الدولية ، وعند ما جاء عام ١٩٢٩ بدا للناس أن كل شىء قد استقر ، وأن العصر الذهبي الذى يقدرونه فى الخيال كحلم جميل ، قد بات أقرب منالا مما يظنون .

ولكن هذه الأحلام كلها لم تلبث أن ضاعت ، وألقى بثلاثين مليونا من الناس إلى البؤس والاضطهاد . . . بدعوى الجنس والدين ، وعاد الناس ثانية إلى صور القرون الوسطى . . . وكرروا مرة أخرى الأساليب القديمة فى سياسة إثارة الفزع والإرهاب .

وابتدأت الشعوب تفكر فى أمنها وسلامتها ... كانت أمريكا ـ التى وضع رئيسها الشروط الأربعة عشر لإيجاد السلم العالمى والتعاون الاجتماعى بين دول العالم كلها ـ قد نفضت يديها من مسائل أوروبا . . . فلما تعد حدودها الطبيعية على الرين . . . ولا حتى على الساحل الغربى لأوروبا ، بل عند حد المياه الإقليمية بأميالها الثلاثة ... فكانت نتيجة هذا كله ، أن انصرفت الدول إلى عقد المعاهدات ، التى يمكن معها أن تضمن سلامتها ، على أساس إيجاد مجموعات يمكن أن تتعاون معا ضد أى اعتداء يوجه إليها جملة أو فرادى .

وصحبت عام ١٩٢٩ أيضا نكبة مالية بدأت فى الولايات المتحدة ، ثم انتشرت منها إلى العالم كله . . . فكان هذا الاضطراب المالى سببا من الأسباب الكبرى التى أعادت بناء ألمانيا الثانية فى عام ١٩٣٢ .

وكان أن اقترن الاضطراب المالى بالاضطراب السياسى . . . وكنتيجة لعدم

الاستقرار هذا، فشلت كل الجهود التى تنصرف إلى بناء السلم على أساس نزع السلاح، وكرد سريع حاسم ، أسرعت الدول إلى التسليح إسراعا أنهك كل مواردها ، وقد سترت كل منها هذه الحقيقة عن شعبها بكلمات جوفاء « كالعدو على جدارنا الشرقى » أو « المدافع قبل الزبد » .

وعند ماجاء أغسطس عام ١٩٣٤ كانت أوروبا كلها كباخرة تمخر عباب المحيط ، وفى جوفها قنابل موقوتة ، يعرف كل من على ظهر الباخرة أنها ستنفجر دون أن يدركوا شيئا عن الوقت الذى سيحدث فيه هذا الانفجار .

كانت الطرقات المرصوفة فى كل عاصمة وكل مدينة من مدن الحدود المشتركة بين الدول الكبرى والصغرى على السواء تنوء تحت أقدام الجنود وعجلات المدافع وشرائط الدبابات . . ، قوات تتحرك لكل مكان ولكل اتجاه . . ، ولا يعلم فرد أين ستكون الشرارة التى تلهب البارود . . . ولا كيف تكون . . .

وكان هذا كله صدى الاضطراب الذى عاش فيه العالم طوال الأعوام التى تلت نهاية الحرب العالمية الأولى .

وكان الناس الذين يعرفون آلام الحرب ، والذين اكتووا بنارها فى الحرب الماضية ، هم أول من وجد فى قيام الحرب الثانية فى أوائل سبتمبر عام ١٩٣٩ سبيلا للفكاك من هذا الاضطراب الذى يعيشون فيه !!

قصة معاهدة فرساى

كان صدى صوت الرصاصة الأخيرة قد ضاع . . . وبدأت الجنود التى بقيت تعيش فى حفر مناطق القتال لأكثر من أربعة أعوام ، تنفض أيديها من أوحال الخنادق ، كانت القرى والمدن التى ظلت طوال الحرب يتبادلها المتقاتلون المرة والأخرى – وفى كل مرة ينصرف عنها من يتركها مرغماً أبشع صورة وأكثر تدميراً مما تسلمها من قبل – قد بدأت تدب فيها الحياة . . ، أناس يعودون إلى دورهم المهدمة وقد احتملوا ذكرياتهم ومتاعبهم ، وجاؤا ليعاودوا الحياة مرة ثانية حيث أقاموا فى الماضى البعيد . . . مع أنه لم يزد على خمسة أعوام ، ولكنه بدا بعيداً لما مر فيه من أحداث جسام .

وظن الناس حقاً أنهم قادمون على عهد جديد . . . وإن كان كل منهم قد انصرف بنفسه عن أى شىء آخر . . . ، كان كل شىء غريب وجديد ، عروش قد ضاعت ، ودول قد قامت ، نقد يصلح فى مكان . . . ولكنه لايساوى شيئا فى مكان آخر كان بالأمس قطعة منه ، ولكنهم اليوم يقولون إن الدهر قد ضرب بينهما ضرباته فبات كل منهما فى دولة .

ولكن مع هذا كان الناس يأملون فى الغد . . . على الأقل لأنهم ظنوا أن الناس الذين سمعوا بذهابهم إلى فرساى أناس من طراز آخر غير أولئك الذين كانوا يذكرون أسماءهم عام ١٩١٤ .

كان الوقت شتاء ... وكان الشهر يناير من عام ١٩١٩ .

وفرساى وباريس قد ضاقتا بالوفود التى جاءت لمؤتمر الصلح . . . المؤتمر السحرى الذى سيجتز أصول الشر من النفوس . . . المؤتمر الذى سيقرر مستقبل الشعوب بروح العدل . . .

واستعرض أولئك الذين يفهمون شيئا من فلسفة الأسماء ، ما أعلن عن مندوبى

الدول فى المؤتمر . . . ، وظن أولئك الذين يأملون فى العسكريين أن خريطة أوروبا الجديدة ستنظم الحدود المشتركة بين الدول على قاعدة الوقوف عند الموانع الطبعية كالأنهار والجبال . . . ، وسيكون هذا ـ على الأقل ـ للاطمئنان لا للدفاع فلن تكون هناك حرب بعد هذه التى كانت لإنهاء الحرب . . .

وتيقن أولئك الذين يقدرون آراء الاقتصاديين الذين جاءوا فى ركاب السادة السياسيين إلى المؤتمر أن تقسيم أوروبا ـ وهو أمر لاسبيل إلى إغفاله ـ سيقوم على أساس تقسيم المواد الخام ، وموارد الإنتاج الزراعى بين الدول فى مجموعات متعاونة ، كى يمكن لكل دولة أن تعمل ، ولكل شعب أن ينتج وأن يعيش مما تنبت أرضه ومصانعه . . .

ولكن شيئاً من هذا لم يكن أكثر من آمال . . . فقد وصل السياسيون إلى المؤتمر . . . ولم يكد ينزعوا عنهم أردية السفر حتى تفاهموا . . . وهمس سياسيو الدول المنتصرة لبعضهم البعض « ويل للمغلوب » .

ولهذا كان حديث التفاهم لإيجاد عالم جديد غير صحيح ، فإن رؤساء وفود أربع دول فقط ـ هى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا ـ هم الذين كانوا يقررون كل شىء ثم يكتبون النصوص التى تعرض على المؤتمرين للنظر ، وعلى المغلوبين للعلم ، لا للجدل ولا للنقاش . . . ، فكان مؤتمر الأربعة الكبار هو رأس فرساى المفكرة واليد التى تحمل مقصا يمزق حيث سار ، وكأن هذا التمزيق فى قماش لايحس . . . وليس فى دول وشعوب تئن وتتوجع . . .

ولعل أولئك « الكبار » قد جاءوا إلى فرساى يحملون خريطة لأوروبا ثم للعالم ، دعمت أسسها بسخائم الماضى وأحقاده . . . لأن هؤلاء كان أول مافكروا فيه :

عمل خريطة سياسية جديدة لأوروبا .

ثم . . .

إعادة تقسيم الأراضى فى إفريقيا وآسيا والمحيط الهادى .

ولكن هذا التمزيق لإيجاد خريطة جديدة لأوروبا تكثر فيها الألوان ويختلف مسار الحدود المشتركة ويتباين بين الاحدوداب والتقعر لم يكن هو كل الذى يطلبه

العالم لاستقرار الأمر ... ، تخلق دول جديدة وتقويه دول صغرى على أساس أقطاعها الأرض وإمدادها بالمواد الخام لايمكن من إقناع كل الناس . . . وإذن فلتكن هناك عصبة أمم ... ولتنظم العلاقات الدولية مستقبلا عن طريق عصبة الأمم هذه ...

وكانت أبرز المشاكل التى نجمت عن فرساى هى فى الواقع مشكلة التمزيق ...

كانت النمسا والمجر أول امبراطورية جرت الأقلام الحمراء كالمباضع فى جسدها المتفرطح ... ، والواقع أن النمسا والمجر وإن كانت قد بقيت متماسكة لأربعة قرون لم تكن مكونة من شعب واحد ، بل كانت مكونة من عدة شعوب إلى جانب النمسويين الآريين ، كان فيها ألمان ومجريون وتشيكوسلوفاك وبولنديون ورومان كروات وسلاف وإيطاليون ، وقد بقيت هذه الشعوب متماسكة طوال هذه القرون بحكمة سياسي فينا وسعة صدورهم ... ، ولسنا ننكر أنهم كانوا يلاقون فى هذا متاعب جغرافية وسياسية واقتصادية كثيرة ، فالإنتاج فى مساكن هذه الشعوب يختلف بين القلة والكثرة ، ومناطق التعدين متفاوتة الغلات وتبعاً لهذا كانت الثروات غير منسقة ولا متناسبة ، وإلى أبعد من هذا فإن هذه الشعوب حتى وإن تزاوجت لم تمتزج ، فكانت نتيجة هذا أن كلا منها كان يرى وراء الدولة الحاكمة وطناً قائما أو شبه قائم يفهم أهله ولغته وعاداته ولكنه منقطع عنه ...

ولم يغب هذا عن سياسي فرساى ... ولكن كان لزاماً أن يتابعوا روح شروط ويلسون فى تقرير مصير الأقليات ، فكان أن مزقت النمسا والمجر .. واقتطعت بعض الأراضى الألمانية والروسية والتركية ... ، وأخذ من البعض .. وأعطى البعض للوصول إلى سلم موطد عن طريق مصير الأقليات ، فكان التخطيط الذى أجرى فى فرساى أول مسمار دق فى نعش السلم المنشود ، وأول رصاصة تكفى لاشعال نيران حرب قادمة جديدة ، وتشيكوسلوفاكيا الجمهورية المستحدثة فى ١٥ نوفمبر عام ١٩١٨ والمعترف باستقلالها فى ١٠ سبتمبر عام ١٩١٩ أظهر مثال لهذا ، فقد كونت من مملكة بوهيميا القديمة وسهل المورافيا مع جزء من غاليسيا يمتد حتى جنوب الكربات فى مساحة بلغت ٦٠٠٠٠ ميل مربع من الأرض و ١٤ مليونا من السكان ، ولكن هاته الأربعة عشر مليونا كانت من التشك والسلوفاك والألمان (السوديت) والبولنديين والمجريين ، وإذن يكون حق تقرير المصير لم ينفذ تماما بالنسبة للشعوب الثلاثة الأخيرة

التى انتقلت مرة أخرى من امبراطورية كانت الأقليات فيها تكاد تكون الغالبية إلى جمهورية تشعر الأقليات فيها بضرورة انضمامها إلى شعوبها الأصلية .

على أن مسألة العنصرية قد أثيرت وسياسيو فرساى لا زالوا على منضدة الصلح أو بالكاد تركوها عندما قصد وفد من البولنديين الذين ضموا إلى تشيكوسلوفا كيا قبلتهم فى وارسو ، فتحدث إليهم بلسو ديسكى قائلا : « انتظروا وثقوا أننا لن ننساكم » .

ولعله لم ينساهم ... وكان هناك غيره أيضا ممن لاينسون ...

على أن فرساى فى الواقع كأى معجزة من صنع البشر إن صلحت من ناحية لم تكن تصلح من الأخرى ، فإن كيان تشيكوسلوفا كيا الاقتصادى كان يتطلب هذا ... ففى جزء غاليسيا الفحم ، وفى بلدة (جوتشيميل) على مسافة عشرة أميال من كارلسباد مناجم الراديوم ، بل هى أغنى بقاع العالم بهذا العنصر ، وفى هذه المناجم اكتشفت مدام كورى العالمة الفرنسية هـذا العنصر الذى انتفع به الطب والصناعة أيما انتفاع .

ثم ان تشيكوسلوفا كيا دولة لايحدها البحر فلا ميناء لها ، ولكن مدها للجنوب فى أرض المجر يجعلها تهيمن على جزء كبير من فروع الدانوب كما تهيمن على المياه العليا لأنهار الألب والأودر والفستيولا هذه الأنهار التى يجرى بعضها فى بولندة وبعضها فى المانيا . ثم إن كيانها كدولة فاصلة أو على مايسميها الإنجليز Buffer State يتطلب أن تتوفر فيها الأراضى المليئة بالهيئات الأرضية لاقامة التحصينات عند الحدود الأكثر تعرضا للاغارة.. ، وهى فى هذه الحال بالنسبة لألمانيا الدولة ذات التاريخ القديم للاعتداء ـ والتى قد يؤدى أى تطور فى الموقف الدولى إلى استعادتها قوتها القديمة التى تمكنها أيضا من السيطرة على المعابر والطرق ـ تعتبر وكأنها فى مهب الريح .

وكان هـذا الوضع الجغرافى بصورته التى ظلت بها تشيكوسلوفا كيا بين عام ١٩١٨ و١٩٣٨ قد وضعها بين خمسة دول ، منها أربعة تكرهها أشد كراهية وأهمها المانيا .

* * *

على أن فرساى نفسها قد نظمت إلى جانب هذا التمزيق عدة مسائل أخرى

مالية واقتصادية بالنسبة لألمانيا ، اعتبرت كوسيلة للتعويض عن إضرار الحرب ...

وهذا التعويض عن الضرر مبدأ قانونى ، ولكن الفكرة أنه يجب لكى تطلب تعويضا عن ضرر أن يكون هذا فى استطاعة الشخص الذى سيقوم بالدفع أو إلى الدرجة التى يستطيعها ، ومن أجل هذا كانت فكرة ويلسون عندما عاد إلى باريس فى الرابع عشر من مارس لا كمال النصوص الاقتصادية والمالية لمعاهدة فرساى أن المبلغ الذى يطلب من المانيا يجب أن يكون فى استطاعتها دفعه فى ثلاثين سنة ، وأن يكون كذلك مبلغا محدداً ينص فى شروط الاتفاقية على مقداره ، ولكن لويد جورج عارض التحديد أياً كان... فلم يقبل تحديداً لا فى المبلغ ولا فى الزمن ، وقد انتهى النقاش بأن نزل ويلسون عن إصراره يوم أن وجد انمايهدد به من إيقاف المعاونات المالية لفرنسا وبريطانيا سلاح قد صدأ ولا قيمة له ، وبالرغم من فداحة مبلغ التعويضات فإن المانيا قد لبثت تدفع دون أن تتكبد شيئا يرهقها إلا القليل لأنها كانت تدفع مماتقترضه من أغنياء أمريكا الذين ترا كم لديهم المال لايجدون وسيلة لاستغلاله إلا أن يقرضوه للناس . ثم جاء وقت توقفت فيه المانيا على الدفع فلم يقل لها لماذا هذا التوقف لأن عصبة الأمم كانت قد ولدت ضعيفة لاتقوى على شىء .

* * *

ولا يجوز أن يغيب عنا بأن وودرو ويلسون قد جاء إلى باريس فى أعقاب الحرب وهو يفكر فى شىء واحد هو إقرار السلم فى العالم لجيل قادم على الأقل بإيجاد عصبة أمم يتآخى فيها أعداء الأمس بفكرة واحدة هى أنه من الممكن أن يوجد فى العالم مكان لكل فرد وعمل لكل فرد وغذاء لكل فرد . . ، وكانت الأحوال فى العالم صالحة لإيجاد هذا ، ثم إن أولئك الذين كانوا يتولون الأمر من وودرو ويلسون إلى لويد جورج إلى كليمانصو كان يبدو لكل فرد أنه تتوفر فيهم القوة والرغبة لإيجاد عالم جديد لأناس يحبون السلم ويريدون الحياة فى أمن ودعة وعدالة ، وكان كل تفكير ويلسون منصرفاً إلى أن الشىء الذى يحقق هذا هو عصبة الأمم ، ولا شىء غيرها ، فان العصبة تستطيع أن تعبىء كل القوى ضد المعتدى أياً كان . .

وكان كليمانصو يريد أيضاً عصبة أمم قوية لها جيش ، وبذلك يمكن ضمان سلامة فرنسا ، وكان لويد جورج بدوره يريد عصبة أمم ولكن... عصبة أمم لاجيش لها ،

كان يريد أن يكون طليق اليد . . . فلا يتقيد حتى بوعد الدفاع عن الأمم التى يعتدى عليها ما دام هذا لا يؤثر فى توازن القوى فى أوروبا (لاحظ أن هذا حدث فعلا فى حالتى منشوريا والحبشة) .

وبذلك فان كل ماكان يعنى لويد جورج هو الاحتفاظ بتوازن القوى مع العمل لاكتساب أشياء جديدة لبريطانيا — وكان كل مايهم كليمانصو هو سلامة فرنسا ، أما ويلسون فقد بقى وحده يحلم بامكان إنشاء سلم مستمر فى عالم بقى يضطرب لقرن كامل من الزمان منذ أن انتهى عهد نابليون بونابرت أحد الذين حاولوا السيطرة على العالم . . .

وكانت نتيجة هذا فشل كليمانصو فى الحصول على وقاية لفرنسا ، وفشل ويلسون فى إيجاد السلم الدائم ، وكسب لويد جورج لبريطانيا بعض التوازن فى أوروبا ثم قليلا من الأسلاب والغنائم فى العالم كله . . . ولكن الحقيقة أنه بدوره قد فشل لأن بريطانيا بعد عشرين عاما فقط من إمضاء معاهدة فرساى ، واجهت حرباً ضروساً وقفت فى أول مراحلها عند ساحل المانش ، تواجه طاغية آخر يفكر فى عبور البحر لغزو بريطانيا كما فعل نابليون مرة من قبل .

وإذا كان هتلر قد أخفق فيما أخفق فيه نابليون من قبل فليس لهذا إلا لسبب واحد وهو أنه انصرف كما انصرف نابليون فى اللحظة الحاسمة إلى شىء تافه لاقيمة له .

وبهذا يمكن القول أنه لم يكن هناك من يقال عنه إنه انتصر فى فرساى ، وهذا عدا أن الجنس البشرى بأكمله قد خسر عندما سنحت الفرصة للفوز بالسلم .

على أن الذى يعنينا إجمالا من ناحية الحديث عن ختام معركة فرساى — المعركة التى مزقت العالم أكثر مما مزقته الحرب العالمية الأولى — هو أن الناس نفضوا أيديهم من فرساى وجمعوا أطراف ثيابهم فى انتظار ما يجىء به الغد .

وفى السابع من مايو عام ١٩١٩ سلمت نسخة من الاتفاقية لاتحمل إمضاءات أساطين السياسة والحرب للمندوبين الألمان ، وفى هذه الاتفاقية الضافية النصوص والملاحق ، فقدت ألمانيا فى عرف الناس كل شىء . . . . ولكنها فى الواقع كسبت

الأسس التى بنيت عليها المانيا الجديدة بعد أربعة عشر عاما فقط وليس هذا بالأمد الذى يقاس به تاريخ الشعوب .

ومن الناحية التصويرية يمكن أن يقال بأن المانيا فد فقدت :

الالزاس واللورين .	أعطيتا لفرنسا .
إقليم السار .	تحتله فرنسا لخمسة عشر عاما تنتهى بإجراء تصويت عام لاختيار الجانب الذى تنضم إليه .
مناجم الفحم فى إقليم السار .	تعطى لفرنسا .
شليزويج العليا .	تعطى للدانيمارك .
الجزء الجنوبى من سيليزيا العليا . وجزء كبير من إقليم بوزن . وبرومبرج مع ممر إلى البحر يفصل بروسيا الشرقية عن المانيا .	تعطى لبولندة .
مدينة دانزيج .	تعتبر مدينة حرة تديرها عصبة الأمم .
كل مستعمرات ألمانيا فى أفريقيا وآسيا .	— وزعت بين بريطانيا وفرنسا واليابان .

ثم أن كل السفن الألمانية التى تزيد حمولتها على ١٦٠٠ طن . . . ونصف السفن التى تكون حمولتها بين ١٠٠٠ و ١٦٠٠ طن توزع بين دول الحلفاء بدلا من السفن التى أغرقتها ألمانيا للحلفاء فى الحرب ، وقد أعطى أغلب هذه السفن لبريطانيا .

يخفض الجيش الألمانى إلى مائة ألف مقاتل ويحتفظ فقط بالأسلحة والذخائر التى تتناسب مع هذا العدد من المقاتلين — باقى الأسلحة والذخائر تنسف أو تكسر .

نزع التسليح من كل المنطقة على طول الرين .

تسليم الأسطول الألمانى فيما عدا ست بوارج صغيرة وست طرادات خفيفة واثنتى عشر مدمرة واثنى عشر قاربا للطوربيد .

تدمر كل طائرات الجيش والأسطول وباقى المنشئات الجوية مع عدم إيجاد أية تشكيلات جوية جديدة فى المستقبل لا للجيش ولا للأسطول .

* * *

فلما كان الثامن والعشرين من يونيو وقع أساطين السياسة والحرب فى العالم كله معاهدة فرساى ، وعقب ويلسون على هذا بقوله (يوجد هنا أساس صالح لإرضاء كل الناس ولايجاد ضمان عالمى وأمل مصحوب بالثقة) ومع هذا فان المعاهدة عند ماعرضت على مجلس الشيوخ الأمريكى صوت ضدها ٥٥ شيخا بناء على طلب ويلسون نفسه ، ولم تحصل الاتفاقية إلا على ٣٩ صوتاً ، وبذلك وضع ويلسون اتفاقية لإقرار السلم فى العالم فلم توفق هذه الاتفاقية حتى الى رضاء الأمريكيين عنها ! . . .

ومن هذه القصة الحزينة التى أجملت ، فشلت أكبر فرصة عرضت للناس لإقرار السلم ويمكن أن نخرج منها بالتعليق الآتى : —

١ — فى نهاية كل حرب كبرى تجىء فترة يكون العالم كله رهن إشارة قادة وزعماء الأمم المنتصرة . . ، وفى هذه الفترة تعرض الفرصة متعجلة الخطوات ، فاذا كانت اتفاقية الصلح منطقية النصوص يقبلها العقل ، أمكن أن يهنأ العالم بفترة سلام هادىء وإلا لايلبث العالم أن يعود إلى الحرب .

٢ — الشروط المعقولة للصلح من النواحى السياسية والاقتصادية والعسكرية يجب التفكير فيها قبل تمام الحصول على النصر . . . ، وفى أثناء الحرب يكون الناس الذين يلوح النصر لهم أقرب إلى المنطق والحكمة مما يكونون بعد ادراك النصر وتحقيقه ، فإذا انتهى وضع هذه الشروط يجب الاصرار عليها والدفاع عنها . . وقد أخفق ويلسون فى هذا . .

٣ — تنظيم السلم أعقد وأكثر اشكالا من تنظيم الحرب .

٤ — لا يمكن إقرار السلم فى العالم ، إلا على أساس عدم إغفال حقوق ومصالح ومطالب أمة ما ، سواء أكانت هذه الأمة منتصرة أو مهزومة ، ولهذا فمن الضرورى دائما العمل على إيجاد تحالف بين كل الدول أساسه الأصلى هو تفاهمها على أن تتعاون مع بعضها البعض فرادى وجماعات . . . . .

وهذه كلها تجارب جاءت بها كل الحروب الكبرى ، ولا يجب أن نغفلها فى الغد . . . عند مايحين الوقت لإيجاد عالم جديد بعد هذه الحرب الحالية .

ثورة البرلمان

الليلة ليلة الحادى عشر من اكتوبر عام ١٩١٩ ، وهى ليلة لا يذكرها التاريخ إلا لماما . . . فلم تقترن بشىء يعتبر حادثا جسيما فى تاريخ العالم ، ولكنها مع هذا كانت شيئا ما فى تاريخ أوروبا المضطربة التى كانت لا تزال ملوثة اليدين بدماء الحرب العالمية الأولى .

فى تلك الليلة كان الجيش الأبيض الذى يقوده الجنرال بودينيتش يجتاز حدود اسيتونيا للشرق . . . لاتفصله عن بتروغراد الثمرة التى يقصد التهامها عدا ماية ميل ، ماية ميل لا تدافع عنها إلا بقايا مبعثرة هى الهيكل الباقى من جيش السوفييت السابع ، وهوجيش يحدثنا التاريخ المسطور بأنه كان قليل العدد مثلوم القوى المعنوية ، وفى تلك الليلة أيضا كان الأسطول البريطانى يمخر عباب بحر البلطيق رافعا علم القوة والنصر الذى كسبه فى صراعه ضد الألمان .

وكان بودينيتش متفائلا . . . ومن حقه أن يتفاءل وأن تتملكه روح الثقة .

على أن الليلة أيضا كانت شيئا آخر فى التاريخ ، فقد كانت هى « ساعة الصفر » للثورة الجديدة التى قصد بها إقرار الأمر فى الروسيا وليدة القياصرة ، كان جيش الجنرال كولتشاك فى طريقه إلى موسكو . . . وكان جيش الجنرال دينكين يحتل منطقة واسعة فى أراضى الروسيا تستند إليها مواصلاته للغرب . . . وظنت أوروبا كلها من المقال الافتتاحى الذى نشرته التيمس غداة الثانى عشر من اكتوبر أن حكومة البلاشفة قد وصلت إلى مرحلتها الحاسمة الأخيرة .

واقترب بودينيتش من بتروغراد . . . كان قد بلغ بجيشه إلى مرمى المدافع من ضواحيها . وانتشر الذعر فى عاصمة القياصرة لاقتراب البيض ، وبات بودينيتش نفسه كريشة فى مهب الريح للروح التى تتملكه بفكرة النصر الذى يقترب من يده .

ولكن . . . لأول مرة منذ ان اجتاز حدود اسيتونيا جاءته تقارير الاستكشاف بأنباء جديدة غريبة .

كان أبناء بتروغراد الحمر قد قاموا كرجل واحد للكفاح أو الموت ، واندفع الرجال والنساء من أبواب المدينة وقد احتملوا أدوات الحفر ، وراح أهل بتروغراد يشقون الحفر ويقيمون دعامات الأسلاك الشائكة ، لا يعنيهم من الأمر إلا مناعة التحصين وسرعة الإعداد ، وجاء بودينيتش يقترب فى حذر ويضغط بأقصى قوة يمكنه منها العدد والتسليح . ولكن النصر الذى حسبه فى يده كان يبتعد عنه ، واستطاع أهل بتروغراد أن يوقفوا المدافع والدبابات التى دك بها الحلفاء خطوط الألمان فى الميدان الغربى ، كان الخط الدفاعى حول بتروغراد يتلوى جيئة وذهابا على طوال ثلاثة أيام استمر القتال فيها غاية فى العنف . وأضاف الروس إلى سجل خسائرهم عشرين ألفا أخر عند بتروغراد فى هذه الأيام الثلاثة ، ولكن بودينيتش بدأ يتقهقر مرتدا إلى الغرب .

ثم جاء ثلج الشتاء . . . وبقيت بتروغراد فى يد الحمر . . .

وفى الأسابيع التى تلت هذا . . . لم تستطع حراب البيض أن تفعل شيئا ، كان أربعماية ألف مواطن يقال أنهم جنود نظمهم لينين قد استطاعوا أن يقفوا فى ستة عشر ميدانا للقتال ، يحاربون المعركة إثر الأخرى ، بفكرة واحدة يمثلها العلم الأحمر الذى يرفعونه ، والذى يعدهم بالسلم والخبز والأرض .

وذهب بودينيتش مع الريح ، وأعدم كولتشاك ، وأطلق دينكين ساقيه للهواء مسرعا إلى لندن فى صحبة بعض قادة الروسيا البيضاء ليقدموا التقارير المطولة عن أسباب فشلهم .

ثم جاء ربيع عام ١٩٢٠ بجديد . . . فقد ظهرت على مسرح أوروبا المضطربة شخصية جوزيف بلسوديسكى وجيشه الوطنى .

كانت عينا بلسوديسكى تحدقان فى حقول قمح أوكرانيا ، وكان ينتظر الفرصة التى يمكن أن تسنح له للعمل ، ووجد جيوش روسيا الحمراء مشغولة فى الجنوب فلم يتردد لحظة واحدة . . . فهو جندى والحرب هى الصورة الوحيدة المحببة إلى نفس الجندى المحارب . . .

وهكذا لم يبدأ أبريل حتى تحرك جيش بلسوديسكى ، ودون أن يقاتل فى معركة واحدة ، قطع الجيش ثلاثمائة ميل ، واحتل كييف عاصمة أوكرانيا . . .

ولكن هذا النصر كان مخادعا ... ففى يونيو تحرك الجيش الأحمر شمالا لمواجهة هذا الخطر الجديد ، ومزقت حراب فرسان بودينى خطوط البولنديين ، ثم جاء الجنرال توكاشفيسكى الذى يقود قوات الروس الأساسية وهو لايتجاوز السابعة والعشرين من عمره ، فقلب التقهقر إلى هزيمة منكرة ... واندفع البولنديون نحو وارسو يحملون معهم كل آثار الهزيمة . . .

وكانت الأنباء تتقدم بخطوات واسعة ، وكانت وارسو يخيم عليها الجوع ويسدل عليها « التيفوس » سجفا سوداء اللون ، وقبل أن يتخطى الروس حدود بولندة ، كان رئيس وزرائها ووزير خارجيتها قد أسرعا إلى باريس ولندن يثيران الفزع فى نصف قارة أوروبا ، ولم يكن هناك من يذكر حقول القمح ، فلا معنى لهذا الآن . لأن وارسو نفسها فى خطر ... ولأن الروس الحمر يقرعون أبواب أوروبا ، ويقرعونها بقوة . . .

كانت باريس تريد أن تعمل شيئاً ولكنها لم تكن لتستطيعه ، فان باريس لاتفكر إلا فى الاتجاه الذى تشير إليه بتروغراد ، وبالرغم من أن البولشفيين لم يكونوا ممثلين فى فرنسا إلا أنه كان لهم صوت فى باريس . . . وتلفتت فرنسا لبريطانيا لترقب ماذا يمكن أن تفعل لمواجهة المشكلة الجديدة ، ولكن لويد جورج كان متردداً ، وقد قابل وزير خارجية بولندة لأول وهلة بوجه متجهم وهو يقول : « إن جيشك يقف الآن عند حدود يبدو أنها ليست بولندية !! . » .

وسرعان ماتبدلت هذه اللهجة ، فبعد أسبوعين اثنين ، وبينما كان لويد جورج يدرس مع كراسين مندوب السوفيت اتفاقية تجارية وصل ونستون تشرشل وسلم لويد جورج مذكرة جاء فيها « لقد أخبرتهم — يقصد الروس — بأنهم إذا لم يوقفوا تقدمهم فى بولندة ، فسأرسل الأسطول الانجليزى إلى البلطيق ... » .

وبدا فى لحظة واحدة أن بريطانيا قادمة على حرب أخرى ، ولكن فى اللحظات الحرجة تستيقظ الديمقراطية الانجليزية من غفوتها دائما لإقرار السلم ...

على أن بريطانيا نفسها كانت مقبلة على فترة اعتصاب عام واضطرابات صناعية ،

كان العمال والرأسماليون قد أمسكوا بتلابيب بعضهم البعض فى عراك عنيف، من أجل الثمرة الحلوة التى يطمع كل منهم أن تكون من نصيبه وحده ... ولكن ـ فى مسرح آخر ـ على الشاطىء الشرقى لنهر الفستيولا كانت الجيوش السيوفيتية ترتد تاركة أماكنها التى وقفت فيها على مدى ستة أميال من وارسو ، واستطاع بلسوديسكى أن يحصل على نصر ما . . . وفى ساعة النصر هذه بعث بجيش استرد مدينة فيلنا ، المدينة التى أعطتها معاهدة فرساى لليتوانيا .

ولكن لينين كان هو الآخر قد نال نصيبا من النصر ، وتعلق بأهداب السلم تعلق الصائغ البخيل بماساته . . . ولم تغير من الأمر شيئاً هذه الرصاصة التى أطلقها عليه شاب فوضوى فاستقرت فى عنقه ... لأنه كان فى حاجة إلى ثلاث سنوات أخرى فقط ليرقب لروسيا التى يطمع فى إيجادها . . . واستطاع بلسوديسكى أن يخلق بولندة جديدة ، وليدة الأولى ، التى غيرت يوما ما وجه ألمانيا ...

وكان فى ألمانيا نفسها أشياء وأشياء فى الأيام التى تلت الحرب العالمية الأولى مباشرة ، عند ما اجتاز الامبراطور ولهلم حدود هولندة وقد أحاط ذراعه بعصابة حمراء . . . وقصد الجنرال لودندورف السويد مختفيا وراء منظار أزرق اللون . . . أطلق من سجن براسلو سراح يهودية حدباء . . . كانت هى روزا لوكسمبورج .... أقرب امرأة إلى قلوب وعقول زعماء الاشتراكية الدولية ، وكانوا يعدونها المخلوق الوحيد الذى يمكن أن يوازى لينين فى قوة الجدل المنطقى . . . وظنت — فى غمرة الإيمان الذى يملؤها بمستقبل ألمانيا ـ إنه من الممكن أن يكون لهاثورة مسلحة كثورة أكتوبر للروس .

وكان زميلها كارل ليبنخت قد أعلن من شرفة القصر الامبراطورى فى برلين إنشاء الجمهورية الاشتراكية فى ألمانيا . . . ولكن لاروزا ولا كارل كان الحاكم الحقيقى لألمانيا ... بل كان فريتزابيرت «السروجى» القديم فى هيدلبرج، وجوستاف نوسكى «النجار» زعيما الاشتراكيين الديمقراطيين ووريثى عرش هوهنزلرن ، وفقط عند ما اشتدت العاصفة الثورية استشارا الجنرال فون شليخر فى الأمر ...

ولم يكد ينتصف يناير عام ١٩١٩ حتى كان جيش الألمان الحمر ، فى قرابة المائتى ألف جندى يقاتل فى طرقات برلين ... ومرت الأيام متثاقلة، البرد قارص، والضباب

كثيف يغطى سماء العاصمة الألمانية ... ومع هذا كانت كل الطرقات تسدها الأحجار الكبيرة ووراء هذه المعاقل الجوية وأزائها استمر القتال دون هوادة ، واستطاع الألمان الحمر أن يحتلوا محطات السكك الحديد ومكتب إحدى الصحف . . . ثم نصف المبانى العامة التى فى العاصمة .

وبدأ نوسكى — مدير البوليس — بمعاونة شايخر يضرب ضربات مضادة موجعة ، مستخدما أكبر عدد وأوفر ذخيرة ، وفى طرقات برلين المظلمة راح جمع من الفوضويين يبحثون عن المرأة التى تقود كتائب الجياع .

على أن هذه الثورة لم تكن وقفا على برلين وحدها ، بل أن نصف ألمانيا كان فى قتال مماثل ، واستخدمت السلطة القائمة بالأمر ذات الأسلوب العنيف لإخماد الثورة ، ولكن قبل أن ينقلب الأمر إلى حرب أهلية ظهرت على المسرح شخصية جديدة مكنت من تهدئة الأمر إلى حد ما . . . تلك شخصية ومر الذى جاء بدستور جديد ، ولكنه كان يستند بإحدى يديه على كتف ايبرت وبالأخرى على منكب شليخر .

على أن هذا الدستور ... وبمعنى أصح هذه الحكومة الدستورية ، كانت منذ يوم تعميدها طفلا ضعيف البنية . . . واستدعى مجلس الريشستاغ للعمل كما تستدعى الزوجة غير الشرعية لتقوم بدور الأم الطيبة .

ووئدت ثورة الألمان الحمر وليدة...فأعدم كورت إزنر بطل الجمهورية البافارية بالرصاص ... وأرسل كارل ليبنخت إلى حديقة الحيوان فى برلين بجثة رجل مجهول الاسم ... وطمرت جثة روزا لوكسمبورج فى طين إحدى قنوات برلين ...

وفى بودابست رفع زعيم آخر مطاق السراح من السجن علم الثورة الأحمر ، وعندما اجتاحت الجيوش التشكية والرومانية أراضى المجر تقاطر المئات من اللاجئين إلى العاصمة التى لاطعام فيها ولا وقود . . . وبقيت الأعلام الحمراء لمدة أربعة شهور تتأرجح فوق أبنية بودابست بمجهودات بيلا كون . . . إلى أن استطاعت الجيوش الرومانية أن تنهى الثورة وأن تعيد الأمر إلى نصابه ...

ودفعت النمسا والمجر بضحاياها من الجوع والبرد ثمن غباء ساستها فى السلم ، وهزيمة قادتها فى الحرب ...

ونجت فيينا من نهاية محققة كنهاية بودابست، بسبب إقامة مطاهى توزيع الحساء

فى مكان قصر آل هابسبورج ، ولكن الحواجز الجمركية التى أقيمت على حدود النمسا والمجر كانت تقتل تجارتها ، وبات من الواضح الجلى أن وباء الجوع لن ينجو منه فرد يعيش بين البلطيق والأدرياتيك .

* * *

وكانت إيطاليا أيضاً تحس بالجوع . . . ولكن كان هناك ماهو أكثر مرارة منه . . . كان الإيطاليون لازالوا يذكرون كابوريتو ... ثم زاد الطين بلة ، إدراك الشعب الايطالى أن ممثليه فى فرساى لا ناقة لهم ولا جمل فى الأمر ، الذى يعده ممثلو فرنسا وبريطانيا وحدهم . . . وبدا أن لا أمل فى مجموع السياسيين الذين يملكون سلطة اسمية . . . وهكذا وثبت إلى الضوء فى نصف مدن إيطاليا عصابات الارهابيين والجمعيات السرية ... كلها تعمل لاغتصاب السلطة من روما .

وفى غمرة هذا الاضطراب جمع دانونزيو الشاعر الطيار نفرا من المقاتلين واحتل مدينة فيومى . . . ولم يخرجه من معقله فيها إلا إرسال وزارة روما بارجة حربية لاقتلاعه ...

وتبع هذا أن فكر عمال المصانع فى الحصول على حقوقهم . . . والوصول إلى الحقوق لم يكن له من سبيل غير الاضراب ، ولأول جولة استطاعوا أن يقبضوا على ناصية الحال فى ستمائة مصنع ، وفى لحظة بدا أن إيطاليا تتجه إلى الاشتراكية ، ولكن كانت الحركة تفتقر إلى شخصية قوية كشخصية لينين أو ليبنخت . . . ولكن لم يحل أغسطس عام ١٩٢٢ حتى انتقل الأمر إلى اليسار . . . فقد قامت هيئة جديدة هى ميليشيا الفاشيست .

وفى غمرة انتشار الفوضى والاضطراب فى المدن الشمالية ، ظهرت من وراء الأفق شخصية بنيتو موسولينى زعيم الاشتراكية فى إيطاليا ، كان يرغى ويزبد من نافذة إدارة صحيفته فى ميلانو ، ولكن روما كانت لاتزال تملك المحرك الذى له أن يقتل الفاشية أو يحييها ، وهمس رجال الأعمال وأصحاب الأراضى ، ثم قادة الجيش فى أذنى الملك فيكتور عمانويل يطالبون بإعادة الاطمئنان إلى النفوس ... وبدا الأمر بالالتماس . . . ثم بالطلب ثم بالتهديد ، ولدهشة أوروبا كلها بعث الملك عمانويل فى التاسع والعشرين من أكتوبر يستدعى موسولينى إلى روما ...

ورحل الفاشيستى الأول من ميلانو فى عربة من عربات النوم ، وتوقف دقيقة واحدة على أميال قليلة من روما، كى يرتدى قميصه الأسود ، وأعلن لأنصاره الذين كانوا ينتظرونه نبأ انتصاره ثم ذهب إلى الكوبنيرال فى عربة مكشوفة ... ولم يكد يتقدم نحو ملك إيطاليا حتى انحنى قائلا : « أرجو جلالتكم العفو عن ارتدائى ثياب القتال فى حضرة جلالتكم » ثم قبل يد الملك ...

وفى اليوم الثانى عرض ملك إيطاليا عشرين ألف فاشيستى فى طرقات روما ، ولكن هذه القمصان السوداء كانت شيئا آخر أكثر مما قدره ملك إيطاليا . . . فقد بعث يطلب رئيس وزارة فجاءه ديكتاتور فى ثياب زعيم !

وبعد عام من الزحف على روما ، عند ما وقفت السفن الايطالية تطلق قنابل مدافعها على جزيرة كورفو ، مسحت أوروبا آثار النوم عن أعينها ، وبدأت تتحقق من أن قوة جديدة تدفع فى أقفية إيطاليا القديمة لتقودها إلى مقدمة الصفوف .

ولكن هذه الصورة الملونة التى كانت تبدو للناس ، غير واضحة المرمى والأسلوب ، وإن كانت هذه الصورة منقولة من أعماق الفاشية نفسها ، أجاب عنها زعيم إيطاليا الجديد عند ما سئل عن المشكل الوحيد الذى تتلمس الفاشية حلا له ... إجابة مقتضبة ولكنها ذات معنى كبير : « الأمد الذى يمكن أن تستمره ...!! »

وقد طال هذا الأمد أكثر من خمس قرن بقليل ...

أتاتورك

وجه رجل ... وجه وطن وشعب ...

وجوه جديدة على مسرح العالم

وكوّن الجوع والفوضى والشعور بالرغبة فى الانتقام والأخذ بالثار أوروباجديدة .. ولم يكن هذا وقفا على ناحية دون أخرى .. بل كان عاما، ففى بريطانيا هدد زعماء العمال «بعمل مباشر» ووقف بوب ويليامز سكرتير اتحاد عمال النقل يعلن جهرا عن أمانيه فى الثورة والشيوعية .

وفى ألمانيا راح أفراد « القوات الحرة » من مجموع الضباط الذين سرحوا من الجيش ، يزرعون الطرقات ، ويثيرون الفزع فى كل مكان ، فيقتلون دعاة الاشتراكية ، ويهددون بمقاومة جيوش الاحتلال من الحلفاء .

وكان لآسيا نصيبها فى عدم الاستقرار . . ، كانت الامبراطورية العثمانية قد مزقت إلى عدة قطع ، وكان لهذا التمزيق صدى أكبر مما كان لتمزيق امبراطورية آل هابسبورج أو آل هو هينزلرن ، كان الجيش التركى قد سرح وكان الفلاح التركى دون أى توجيه من الحكومة أو الدولة، قد راح يحفر الأرض ليبحث عن غذاء الغد ، والأسلاب التى تنتج عن تقسيم أمة مغلوبة تبدو ثمرة سهلة الهضم .. ، فكان إنشاء امبراطورية قوية على أنقاضها هو الحلم الذى لم يغمض فنزيلوس رئيس وزراء اليونان عينيه إلا رآه .. ، وعند ما كان الملك قسطنطين يتفاهم مع الألمان ، كان فنزيلوس فى الجانب الآخر يثق كل الثقة بانتصار الانجليز .. ، وفى غمرة هذه الثقة راح يساوم مستر لويد جورج من أجل الغد وما بعد الغد .

فلم تكد الرصاصة الأخيرة تستقر فى أقرب جسد تصادفه ، وينفخ فى البوق إيذانا بانتهاء الحرب ، حتى شد فنزيلوس رحاله ينتظر المنحة التى ستعطى له ، وفى أروقة فرساى كان نشاطه ملحوظا ، ولم يترك لويد جورج بل بقى له كظله ، وكلما ترك هذا مجلس الأربعة ، كان فنزيلوس يغتصب منه الوعود .

على أن الأستانة نفسها كانت فى شاغل عن هذا كله .. ، كانت المدينة تعيش تحت نظر الأجنبى وفى ظل مدافع سفنه ، وكان كل صوت وكل همس يقاس ويقتص، فقد كانت المدينة الكبرى وكرا للجاسوسية والجواسيس من كل لون ويتحدثون بكل لغة .. وكل فرد من هؤلاء يكون لنفسه فكرة عما يمكن أن يحدث فى فرساى ، وفى طرقات المدينة الخلفية كان جنود الحلفاء فى ثيابهم الرسمية يتماسكون بالتلابيب ، فلم يكن هناك استقرار حتى بين الأصدقاء المنتصرين .!!

وفجأة انقلب ضباط الاحتلال الانجليز إلى رجال بوليس ، كانوا يتجولون فى كل طريق .. ويطرقون كل باب وقد أمسك كل منهم بأمر القبض ، وكل هؤلاء كانوا يبحثون عن قائد فى مقتبل العمر ، استطاع أن يقاتل الانجليز فى قوة الأسد وحنكة الثعلب فى الدردنيل وفى فلسطين ، وجاء المنتصرون الآن ليأخذوه إلى مالطه .

ولكنهم لم يجدوه ، وكأنه قد تبخر فى الهواء ، فهو لم يوجد حيث ظن بوجوده ، وجثته لم يلفظها البحر عند القرن الذهبى .

وبقى فى العاصمة الكبرى رجل واحد لايعنى به أحد ، ولا يفكر فيه إنسان .. ، هذا الرجل هو السلطان رأس الحكومة التركية التى كانت تحكم جسد أمة لاروحها .. ، وكان عند مايذهب الى الصلاة فى المسجد، لايفكر فرد فى اللحاق بعربته ، ولولا بعض الأجانب الذين كانوا يقفون ليحدقوا فى الموكب الحزين ، لما أحس أحد بأن هناك شيئا يسير مع الأيام ، كان السلطان قد أضاع ما بقى فى يده من تراث أجداده بتعاونه مع الأجانب ... فبات عظيما بالنسبة لاشىء يصغره .

ولكن الناس فى الإستانة .. بل وفى تركيا كلها ، كانوا يجتمعون ويتهامسون ، حتى فى أعقاب الصلاة فى المسجد ، متحدثين عن الرجل الذى استطاع النفاذ من بين أصابع الانجليز ، ليرحل إلى أراضى الأناضول العارية .. ، كان كل فرد يسأل نفسه ماذا يفعل كمال .. بل ماذا يمكن أن يفعل .

وعرف الناس كما عرف السلطان أن كمالا يجمع جندا حفاة الأقدام ولكنهم يحملون أسلحة ويمكن أن يقاتلوا ، وشتان بين الجندى المأجور لزمن يجب أن يكسى وأن يطعم طواله ، وبين الجندى الذى يندفع الى الجهاد بوازع من نفسه ، ومد السلطان يده إلى الأمر ، فبعث وراء كمال ليرجع إلى الاستانة ... ولكن الرجل

أبى إلا أن يبقى فى الأناضول ، حتى يعدل من الأساس ... وبقى الرجل عند وعده ...

وفى طوال هذا الزمن كان فنزيلوس يعمل لتحقيق أحلامه ، ووصلت الأنباء بأن جيشا يونانيا قد أنزل إلى الساحل التركى فى الأناضول ، وأن عملية الغزو سهلة ميسورة، وأن لاشىء يعطل من القضاء على الثائر التركى ، الذى يظن أنه هو وحفنة من الرجال ، يمكن أن يعطلوا الحكم الذى صدر فى فرساى .

ولم يكن هناك فيما يبدو إلا أحد أمرين : إما التسليم وإما الفناء ، فلا يمكن قتال جيش وافر العدد مسلح بمدافع انجليزية وسفن حربية فرنسية، ووراءه رئيس وزارة فى لندن ، قد ربط مستقبله بقضية اليونان ، ولكن مع هذا كان بين هؤلاء وبين النصر ، عبقرية جندى واحد وعزيمة هذا الفرد .

كان فنزيلوس قد رجع من باريس فى سبتمبر عام ١٩٢٠ ، وكان الملك الكسندر قد اعتلى العرش ، خلفا للملك قسطنطين الذى كان يميل إلى الألمان ، والذى أرسل إلى المنفى ، وفى مساء يوم من أيام أكتوبر سار الملك فى حدائق القصر ، ووقف يراقب القرود ، ووقف الملك يداعب قردا ولكن القرد قضم قطعة من يده ... وظن أن الأمر شىء عارض .. ولكن الملك الكسندر مات متأثرا من الجرح وماتت معه أحلام اليونان فى امبراطورية واسعة ... وبدأ قسطنطين رحلته عائدا إلى اليونان التى بدأت فيها حملة انتخابية ، وظن فنزيلوس أنه فى مأمن من عادية حرب الأصوات ، ولكن نتيجة الانتخاب كانت فى الجانب المضاد له ..، وفى أيام قليلة كان فنزيلوس يترك اليونان فى حلكة الظلام على ظهر دارعة انجليزية ، وذهب السياسى العجوز .. وجاء الملك السابق الذى قيل عنه إنه انتهى ، وقد وصل ميناء بيريه وسط مظاهر ترحيب لم تعرفها الديمقراطية من قبل ، ودخل أثينا فى موكب المنتصر .. ، ولكن كان إلى أبعد من هذا للشرق ، جيش يونانى قد ترك ليقاتل وحده ... فان شعب فرنسا كله ونصف أهل بريطانيا على الأقل، تواقين إلى الانسحاب من مخاطرة فى سبيل التعاون مع ملك عرف بتمشيه مع الألمان .... ولم تمر أسابيع قليلة ، حتى رحل نفر من الفرنسيين للتفاهم مع مصطفى كمال .

وكان الجيش اليونانى أثناء هذه الحوادث يتقدم إلى الشرق نحو أنقرة .. ، ووصل إلى أقل من ثلاثين ميلا من العاصمة التركية الجديدة، ثم توقف عند نهر سقاريا الذى كان يسد الطريق .. ، وإلى ما وراء النهر كانت حفنة من الرجال يقودهم قائد عبقرى على أتم أهبة للموت مع جنوده من أجل الوطن ، واستمرت المعركة ثائرة صاخبة مدة أربعة عشر يوما ، وبدا فى لحظة ما أن اليونانيين سيكتسحون الخطوط التركية ، ويملون على الأتراك صلحا أساسه أطماع المنتصر الذى سيغزو أنقره نفسها ، ولكن شيئا من هذا لم يتم ، فقد وقف كمال على رأس جنده عند الحفرة الأخيرة لايتراجع، فإن كل جنود العالم كانوا عاجزين عن أن ينتزعوا منه ثقته بنفسه وإيمانه برجاله ، وفى الأمر اليومى الذى أصدره فى آخر يوم للموقعة قال : « أيها الجنود ! إن الغرض الذى يجب أن نصل إليه هو البحر الأبيض المتوسط » .

وابتدأ الجيش اليونانى يتقهقر . . . ثم أسرع فى تقهقره . . ثم انقلب الأمر إلى مطاردة عنيفة لاهوادة فيها . . . . وألقى بعض الجنود أسلحتهم يستسلمون، فقيل إنهم ذبحوا . . ووصل الباقون إلى البحر ليستقلوا قوارب مكشوفة عارية مقفرة من الطعام والماء . . . ووصل بعض هؤلاء إلى بيرية ليجدوا حكومة تخاف الثورة ، فنزعت منهم أسلحتهم ، ثم بعثت بهم إلى منازلهم فى غير ضجة .

ووصل مصطفى كمال إلى البحر هو أيضا، ولكنه وصله فى زهو المنتصر ... وكان انتصار أمة قد هزمت تماما قبل هذا بأربعة أعوام صفعة قاسية لفرساى . . . وبدا أن لويد جورج يستعد للتدخل لارجاع الأتراك الى الوراء . . . ولكن بونارلو كان العامل الحاسم لأنه قال : « إننا لن نستطيع أن نقوم وحدنا بأعمال البوليس فى العالم كله !! » وبدأت الديلى إكسبريس حملة صحفية ضد الحرب الجديدة ، ووجدت الديمقراطية المجهدة التى أعيتها الحرب العالمية الأولى ، سلاحا جديدا فى قوة الصحافة .

وكان جنوب شرقى أوربا لا يزال مضطربا ، ففى اليونان انقلب الترحاب الذى لوقى به الملك قسطنطين قبل هذا بعام واحد عند ميناء بيرية إلى غضب رجل الشارع، ففى كل مكان كان الغوغاء يطلبون تضحية أولئك الذين سببوا انهيار أمانى اليونان الجديدة .

ووقف ستة من أعضاء الوزارة ، ومن أنصار الملك الذى أسقط مرة عن عرشه، أمام الحفر التى أعدت قبورا لهم ثم أعدموا رميا بالرصاص ، وعولج رئيس الوزارة جوناريس على عجل لينقل من المستشفى إلى مكان الاعدام .

ولكن لم تكن أية كمية من الدم تكفى لتمحو من الذاكرة قصة ضياع الامبراطورية ، التى كان اليونانيون يحلمون بها ، ولا ذكرى الآلاف الذين فقدوا حياتهم من أجل هذا . . . ولا تكفى الدماء أيضا لتستعيد لفنزيلوس السلطة التى سلبها منه قرد . . .

ولم يكن مصطفى كمال نفسه فى حال أحسن ، ففى ليلة من ليالى أغسطس بعد أعوام قليلة ، علقت على الأخشاب إحدى عشرة جثة فى ميدان إنقرة لاحد عشر رجلا ، كان فيهم من عاونوا أبا الأتراك فى قتاله ضد اليونان ، ولكنهم كانوا قد تحولوا للتآمر عليه .. فكان لزاما أن يرى العثمانيون ماذا يمكن لسيد تركيا أن يفعل .

وأوجد كمال أتاتورك دولة جديدة من الرماد الذى انتهت إليه الامبراطورية القديمة ، دولة استطاع كل فرد فيها أن يرفع رأسه بين أمم الغرب ، وقد يقولون إن كمال أتاتورك كان عنيفا ، ولكن لاشك أنه كان محبوبا ، فان الفلاح التركى كان يسير خمسين ميلا على قدميه فى صقيع الأناضول ليرى أباه . . .

على أن هذه الروح القومية التى أثارتها تركيا ، كانت ثائرة فى أكثر من نصف الدنيا ، ففى الشرق الأقصى كانت الصين تسير بخطى وئيدة تحت قيادة صن ياتسين ، وفى الهند تملك المهاتما غاندى القلوب بدفاعه عن قضية الهند .

وفى بلاد العرب كان ابن سعود ، الذى بقى ثلاثين عاما لا يرقد إلا متوسدا سيفه ، يبنى دولة عربية قوية ، وانتشرت هذه الروح الوثابة الاستقلالية إلى سوريا وفلسطين ومصر ، وفى مراكش كان عبد الكريم — على الرغم من قوات فرنسا وأسبانيا العسكرية — يبنى نهضة جديدة عسكرية بين البربر . . .

على أنه فى طوال هذه الأعوام الأربعة التى تبعت الحرب ، نسى الناس أن للطبيعة نفسها قوة . . . وفجأة قامت ثورة بركانية فى اليابان ربما اعتبرت أقسى ثورة للطبيعة منذ أيام نوح ، فشطرت مدينتى طوكيو ويوكوهاما وقتلت مائة وستين ألفا ودمرت

ماقيمته خمسمائة مليون جنيه من الممتلكات ، وكانت كل الثورات الأهلية إلى جانب هذا لاشيء .

على أن كل هذه الفوضى والاضطرابات والمذابح ، كانت تكفى ليسكن العالم بلا حركة . . ولكن الناس كانوا وقوفا على أقدامهم تملأهم روح الكفاح للعمل وراء أى قائد يوجههم إلى ثورة جديدة .

ولم يكن للأمر عامل واحد إلا الجوع . . . وإذا كانت الحرب قد جاءت بطبقة جامدة من الحكام ، فان الأفراد كانوا مشدوهين بتأثير الحال الاقتصادية التى رفعت أمما جديدة من التراب وأرغمت الجيوش على الثورة والنهب فى الطرقات !!!

سلام لوكارنو...

وفى فرساى أعطيت بريطانيا وفرنسا الفرصة لانقاذ العالم من النكبة الاقتصادية، ولكنهما امتهنتا كل فكرة فى خير الغير ، وكان هذا الحمل الثقيل الذى وضع على عاتق الشعب الألمانى لمحاولة إيجاد سلم مثالى ، يهدد أوروبا كلها بسحب قاتمة ، توشك أن ترديها فى أنقاض الامبراطورية الألمانية .

ولكن مع هذا ، كان لازال فى استطاعة فرنسا وبريطانيا إذا تعاونتا، أن تنقذا ماتبقى بعد هذه الأعوام الأربعة ، لو كان سياسيوهما رغبوا فى هذه النجاة . . . ، كان كليمنصو قد ذهب ، وفى التعقيب على هذا قال لويد جورج « لقد كان الفرنسيون هم الذين أحرقوا جان دارك هذه المرة » ، وفى مكان كليمنصو كان الفرنسيون قد جاءوا بريمون بوانكاريه وهو على ما يقول « ميشيل فوت » فى كتابه (تاريخ العصر الذى نعيش فيه) « كثير اللغط ، ضيق الصدر عنيد » .

ولكنه كان أكبر سياسى أوروبا الذين جاءوا بعد الحرب رغبة فى ارتشاف ثمار النصر حتى الثمالة .

وبوانكاريه من أبناء اللورين، وآراؤه كعقيدة أبناء الاقليم الذى جاء منه، تتجه إلى إضعاف النسر الالمانى ، ولهذا فان التعويضات يجب أن تدفع كاملة ، مهما كان أثر هذا الدفع بالنسبة للشعب الألمانى .

على أن صوت ألمانيا كان قد تجاوز الحدود صيف عام ١٩٢٠ فى مؤتمر « سبا » SPA وكان أكثر سياسى أوروبا مجتمعين حول المائدة ، وكان يمثل ألمانيا فى المؤتمر والتر راثينو سيد الصناعة فيها ، وهو رجل يعتز بنفسه وبقدرته على المال والعمل . . . ولكنه فى غمرة حبه لوطنه تكلم عن « سياسة التكملة » أو « سياسة الانجاز التنفيذية إلى غاية ما يمكن » ، وكانت هذه السياسة فكرة ألمانية مبتكرة للتهدئة !!

واستمر المؤتمر يعمل فى هدوء ، وفجأة وثبت إلى الضوء شخصية جديدة ، شخصية رجل كان يجلس فى طرف القاعة ، ولأول وهلة ضرب المنضدة بيده وصاح متحدثا عن تحد الحلفاء لألمانيا ، ولم يكن الرجل عضوا فى المؤتمر ، واستطاع راثينوان يهدىء من العاصفة بينما بقى الرجل العنيف يلوك بين أسنانه حديثاً عن روح الشعب الذى يختلف عن باقى شعوب أوروبا بالطبيعة .

وراقبت ألمانيا كلها هذا الصراع بين الرجلين ، لأن هوجو ستينيس كان قد نال مكانة بين الشعب الألمانى ، وهو رجل كان قد بدا حياته فى أولى درجات السلم ، ولكنه كان إذ ذاك يستخدم أكثر من مائتى ألف عامل فى مناجم الفحم ومصانع الصلب التى تحمل اسمه .

كانت ألمانيا كلها تعرف لحيته السوداء الكثيفة ، ونظرات عينيه العميقتين ، وصوته الخشن ، وكان الرجل ينادى بسياسة مقاومة فرساى ، وبدأ الشباب الألمانى يرى فيه أملا أكبر مما كان يجده فى شجاعة راثينو التى تعتمد على الصبر والتمهل .

وجاء « مؤتمر جنوا » بعد أشهر قليلة فى أعقاب مؤتمر سبا ، وحاول راثينو مرة أخرى أن يحصل على معاملة أحسن للشعب الألمانى ، ولعلها كانت محاولته الأخيرة ، لأن فشله كان معناه تسليم ألمانيا لستينيس .

كان راثينو كبير الأمل والثقة ، يتحدث بإخلاص ، ولكن بوانكاريه كان صلبا جامد العاطفة ، ولم يكن للباقة لويد جورج وراثينوا أن تحوله عن أصراره ، وانتهى مؤتمر جنوا على لاشىء وبدأ راثينو رحلته المليئة بالقلق عائدا إلى برلين مهزوما خالى الوفاض إلا من معاهدة صداقة وقعها مع الروس فى راپالو .

وبينما كانت سيارته تدرج به إلى مكتبه فى برلين لاقى حتفه برصاصة محكمة التوجيه ، وكانت هذه النهاية المؤلمة هى الرد الوحيد على عناد بوانكاريه .

وعلى الرغم من أن المندوبين الاشتراكيين صاحوا فى وجه زعماء الوطنيين عندما دخلوا قاعة مجلس الريشستاغ قائلين « القتلة ! القتلة ! » فان الأفراد الذين كانوا يقفون وراء الفوضويين لم يقدموا للعدالة ، ولم يكن هناك أى وقت للتفكير والعدو قد اجتاز الأبواب دون أن يتسلق السور ، فان بوانكاريه وكبار رجال الصناعة

الفرنسيين فى غمرة رغبتهم فى زيادة إنتاج صناعة الصلب فى حوض الرور، قرروا إرغام ألمانيا على الدفع بأسنة الحراب ، وتقاطرت القوات الفرنسية إلى الرور وطرد ١٤٧٠٠٠ ألمانى من منازلهم ، وأطلق الرصاص على الناس فى الطرقات فقتل ٧٦ شخصا ، وكممت أفواه الصحف واحتلت كل مراكز الحركة ، وحاول بوانكاريه بمطرقة من الحديد أن يدمر قومية أربعة ملايين من الألمان يقيمون فى وادى الرور ، ولكن هؤلاء كانوا قد أجمعوا أمرهم على مواجهته بشجاعة فى مقاومة سلبية .

كان بوانكاريه هو المنتصر ، وعلى ألمانيا أن تعمل لإنهاء هذه المقاومة ، ولكن ألمانيا واحدا شارك بوانكاريه فى هذا الفتح ، كان هذا الرجل هو هوجو ستينيس ، فقد جرأ الفرنسيين على دخول الرور ثم نظم المقاومة السلبية ، وكان قادرا على أن يسير فى موكب المنتصر على أنقاض شعبه .

وبعثت من برلين الملايين من أوراق النقد لإطعام المضربين ، كانت آلة الطباعة وحدها هى التى تمكن من إحياء السياسة الحرقاء فى المقاومة ، وكانت الزبد هى وحدها النوع الثابت المستقر من أنواع النقد المتبادل .

وتأرجح سعر المارك ثم بدأ يهبط بسرعة فضاعت معه ثروات الطبقة الوسطى كلها إلا أن هوجو ستينيس كان متأهبا لكل طارىء ... وكان هو رسول وصاحب فكرة «الإفلاس الرخيص» وقامر على سقوط العملة ، ولهذا فإنه عند ما فقد نصف الشعب الألمانى كل عضد مالى فى ليلة واحدة ، كانت مناجم ستينيس ومصانعه صامدة كالطود الشامخ .

وفى هذه الأيام الستماية ، أثبت ستينيس أنه خير صديق لأدولف هتلر الثائر الصغير ، الذى كان إذ ذاك فى مطبقة بقلعة لند سبرج يكتب كتابه « كفاحى » ، وكسب أيضا حليفين قويين للمستقبل... تركزت الثروة الألمانية فى أيدى نفر قليل من الناس ، وأضيفت كتائب هوجو إلى الجيش القوى المعد من جموع غير الراضين بالواقع أى ... المتمردين على فرساى .

وجنى بوانكاريه ثمار نصره بانهيار المقاومة الألمانية ، ولكن ستينيس كان أبعد نظرا منه ، فقد ضمن الحصاد فى المستقبل ، وكان عمل ديكتاتور فرنسا الملىء بالانتقام

وروح الشر ، يبعث فى الألمان روحا جديدة بدت واضحة فى هذا الاصطدام الجنونى الذى حدث فى الرور ، وخلف وراءه هذه الفجوة العميقة فى وجه أوروبا ، ظلت موجودة حتى عام ١٩٣٩ .

* * *

وهدأت فجأة العاصفة التى لبثت ثائرة فى أوروبا طوال الأعوام الستة التى تلت الحرب ، وفى الجانب الآخر من الأطلانطيق ، كانت الولايات المتحدة تجنى ثمار الرخاء المندفع اندفاع التيار ، وكان النشاط الصناعى العظيم فيها قد أوجد ركاما عالية من المال ، ووجه الماليون الأمريكان أنظارهم إلى أوروبا .

ووجدت آلات الصناعة وأسواق التجارة ، فى ألمانيا وغيرها من دول شرق أوروبا ، السبيل للنهوض والتقدم للأمام ، وسرعان ما استعادت جانبا من الاستقرار ، عند ما سكبت الأموال الأمريكية كالزيوت التى تذيل الصدأ عن المحركات .

وتبعا للتخفيف الذى أصاب الحمل الثقيل للتعويضات ، ولانخفاض مستوى البطالة بين العمال بدا أن السياسة ستفقد جانبا من صفات الخشونة التى عرفت بها ، هذه الخشونة التى جعلت أوروبا التى جاءت فى أعقاب الحرب جحيما ، ولاشك أن أوروبا كانت تتجه إلى فترة «تعاون وتآخى» لوجاز لنا أن نستعيد كلمات خطباء عصبة الأمم ، الذين اعتقدوا أن الكلمات الرقيقة ، يمكن أن تحل مشكلات الشرور القائمة .

وأوضح التغييرات كان فى الرجال الذين تولوا الأمر فى هذا التطور الجديد .. ، ففى ألمانيا كان جوستاف ستريسمان متأهبا كما يبدو لالتقاط خيوط السياسة التى تركها راثينو .

كانت له شخصية تبعث على الصداقة ... وقد اشتهر بشدة قابليته للغذاء والشراب ، وكان شجاعا متمردا ماهرا فى النقاش الخاطف السريع ، وكان ارستيدبريان الذى تولى وزارة خارجية فرنسا فى ذلك الوقت خطيبا لبق الحديث والأسلوب ، ولا شك أنه كان أعظم خطباء أوروبا فى تلك الفترة .. ، وكل مالحق السياسة الفرنسية من إطناب إنما كان مسببا عن لسانه العذب ...

أما فى بريطانيا فقد سبب سقوط وزارة العمال وصول السير أوستن تشيمبرلين إلى مقعد وزير الخارجية ، فأكمل الشريف الانجليزى الثالوث الذى قرع نواقيس السلام فى كل كنائس فى أوروبا ، ولكن تشيمبرلين خطيب ، لم يكن ليقارن بزميليه

ولما كانت الخطابة فى ذلك العصر هى الآمرة الناهية فى كل الأعمال السياسية . . . . فقد دخل أوستن تشيمبرلين قاعة مجلس العصبة فى جنيف على أطراف أصابعه ، وهو مزعزع الثقة بنفسه .

ولكنه مالبث بعد أن شعر بيد بريان تسنده أن بدت له الأمور أيسر مما ظن وتوقع ، وكان بريان وستريسمان قد مهدا السبيل لهدنة فى هذا الصراع القديم الذى هدم أوروبا ، وكانت كل ترتيبات التزاوج معدة ، وكان الباقى فقط هو أن يقوم تشيمبرلين بدور صديق العروسين حاملا هدايا الزواج ، فى ضمان بريطانيا للحدود المشتركة !

كان كل من بريان وستريسمان يعرف ماذا يريد ، وكان بريان يعتقد أن ضمان بريطانيا للحدود الفرنسية سيعبد الطريق أمام أوروبا مسالمة، تعيش تحت سيادة فرنسا الروحية ، وكان ستريسمان يريد أن يكسب وقتا لدولته لتعاود الانتعاش ، وأن يكسب الوقت الكافى للموارد الصناعية الكبرى التى لألمانيا كى تعاون على إقرار السلم . ، ودون أن يدرك تشيمبرلين على وجه التأكيد حقيقة ما يفعل ، بل وقبل أن يضمن وجود قاعدة موطدة غير مسلحة لسلم بين العدوتين القديمتين ... دفع بحدود بريطانيا إلى الرين .

ولكن كل هذا المد والجزر كان فى الواقع مختفيا وراء سجف كثيفة ، كان العالم كله تواقا إلى هذا الرخاء اللامع ، وفى غمرة الرغبة الملحة لعقد الاتفاقات والمعاهدات أرسلت نصف دول أوروبا مندوبيها إلى شواطىء بحيرة ماجيور لدفن « نصف دسته » من الأحقاد .

وكان المنظر جميلا رائعا ، وكان ستريسمان يترك منضدة المجلس ليلا ليحتسى الجعة مع الصحفيين فى مقهى بافاريا الشهير عند حافة البحيرة ، وهكذا كانت ليالى عصبة جنيف . . . وقد وصل أوستن تشيمبرلين إلى قاعة الاجتماع فى سيارته الرولزرويس الفخمة ذات الوسائد الحمراء ، وجاء موسولينى الديكتاتور الفضفاض إلى ميلانو بقطار خاص ، ثم فى سيارة من سيارات السباق حتى ستريسا ، وبعدها بقارب من القوارب التى كسبت الأرقام القياسية إلى لوكارنو !!

وفى مساء السادس عشر من اكتوبر وقعت المعاهدة ، وكانت المدينة الصغيرة عند حافة البحيرة مليئة بالمتخاصرين على أصوات الموسيقى . وتجمع الناس حول دار البلدية ، وامتزجت صيحاتهم بدقات نواقيس الكنائس ، ولإشباع هوية الناس قربت ورقة المعاهدة من النافذة ، وأضيئت حولها الأنوار ، كما تضاء الشموع حول المذبح ،

واهتزت السماء من صيحات الفرح والسرور ، ووصل صدى الصياح إلى أوروبا كلها ، فقد بدا أن الأيام الحالكة المظلمة قد انتهت إلى الأبد ! .

وتكلم بريان لهذه المناسبة السعيدة ، فوقف فى جنيف يرحب بعودة ألمانيا إلى العصبة قائلا : « لقد انتهت هذه الحرب الضروس التى كانت بيننا ، انتهت الآلام والأحزان . . . القوا بعيدا بالبنادق والمدافع والرشاشات الآلية . . . فها تجىء الآن بدلها الرغبة الطيبة . . . التحكيم ثم السلام . . . » .

* * *

ولكن كانت هناك أشياء تعكر هذا التنسيق الجديد ، فإن بريطانيا لم تنل نصيبها كاملا من هذا الرخاء الذى يطغى على العالم ، فإن عودتها إلى قاعدة الذهب ، قيد من سيادتها على أسواق الفحم فى العالم ، وكانت مثقلة بإضراب عام ، وكان صوت ا . ج . كوك أقرب إلى لهجة لينين وليبنخت .

ولكن كل هذا لم يعكر صفاء الاعتقاد بأن العالم قادم على أيام أجمل وأروع .

وعاد بريان ثانية إلى العمل من أجل المعاهدات ، ووجد فى كيلوج [الولايات المتحدة) مرتعا خصبا ، ووقعت خمسون دولة ميثاق « بريان — كيلوج » وهكذا التمست دول العالم السلم فى لوكارنو وتوهمت أنها وصلت إليه .

ورفع ثقل التعويضات عن عاتق ألمانيا بطريقة بسيطة ، هى إقراض ألمانيا أكثر مما دفعت ، فكانت كأنها قد دفعت ثلاث بنسات فى صندوق النزور لتأخذ بدله شلنا !

وما دامت أمريكا مستمرة فى إرسال الأموال عبر الاطلانطيق ، فإن الرخاء بدا وكأنه سيستمر ، وكانت أمريكا أول من لا يشك فى هذا ، وفى عام ١٩٢٨ صك هربرت هوفر فى حملة انتخابه بعض النقود وقد حفر عليها هذه الكلمات : « تصلح لأربع سنوات فى رخاء ! ! » .

كانت هذه الأعوام العشرة منذ نهاية الحرب قد أوجدت عالما جديدا ، وقد هزم النمر الذى يمثل الثورة فى الغابة التى ظن أنه سيدها ، كانت ألمانيا فيما يبدو على أتم استعداد لتتناسى فرساى والرور ، ولا شك فى هذا ، بعد أن فشل أدولف هتلر فى الانتخابات ، وكانت فرنسا وبريطانيا على أحسن ما يمكن من صلات لم توجد فى وقت ما قبل هذا منذ فرساى ، ولم ينكر السياسيون رضاءهم . . . وكان العالم كله كجمع من الناس جلسوا للعشاء وسط أبهج مظاهر الفرح والسرور . . .

ولكن إلى متى ؟ !!.

عند ما جنت أمريكا

... ولم يكن هربرت هوفر خطيبا ، ولكن عند ما وقف ليتحدث إلى الناس قائلا : « إننا فى أمريكا اليوم أقرب إلى الانتصار النهائى على الفقر مما كنا فى أى يوم من تاريخ هذه الأرض ، وإن الأسرة الفقيرة تختفى من مجتمعنا ، ولكنا لم نصل بعد إلى كل غرضنا ، إلا أننا قد أعطينا فرصة التقدم بسياستنا فى الأعوام الثمانية السابقة ، وسنستطيع بمعونة الله أن نصل إلى اليوم الذى يختفى فيه الفقر تماما من هذه الأمة! » عند ماقال هوفر هذه العبارة ، صاحت الجماهير هاتفة له حتى غطت صوته ، ثم راحت تتقدمه حتى أدخل إلى البيت الأبيض ، كرئيس للولايات المتحدة بأغلبية ساحقة .

وبقيت الولايات المتحدة اثنى عشر شهرا موطنا للمضاربات المالية ، وكان الكثيرون من كبار الماليين قد جاءوا بأموالهم ثانية عبر الاطلانطيق ، وألقوا بها فى أسواق نيويورك . كان كل فرد يتحدث عن الأوراق المالية . . . وباتت أسماء شركات الصلب الأمريكية ومصانع جنرال موتور بأوراق التأسيس ورأس المال ... معروفة مذكورة على كل لسان أسوة بأسماء باب روث وبوب جونس ودمبسى عملاق الملاكمة . . .

كانت النشوة تتملك كل فرد . . . قارة مليئة بالرجال والنساء كل من فيها مخمور بالأوراق المالية والسندات !

وجاءت أيام خمسة هزت العالم كله . . .

توقفت الأسعار . . . ثم هبطت الأسهم والسندات قليلا ، وفى ليلة الثالث والعشرين من اكتوبر أعلن المالى الكبير البروفيسور ايرفنج فيشر ، أنه يتوقع تحسن الأحوال . . . كما أعلن رجل آخر من رجال المال أن الأوراق المالية قد وصلت إلى آخر ما يمكن أن تصله فى مستوى الهبوط !

ولكن جاء الصباح التالى بجديد . . . كان يوما قارص البرد . . . ومع هذا كان أناس كثيرون فى الأسواق . . . وقد بقيت السوق متماسكة بعض الوقت برغم أن البيع كان كبيرا . . . ثم عاد الهبوط ثانية ، وأولئك الذين كانوا يثقون بما قاله أنبياء الأمس لم يبيعوا !

وفى ذات الصباح قرر خمسة من كبار الماليين أن يضحى كل واحد منهم بأربعين مليونا من الدولارات لايقاف الهبوط ، وقد نجحت الفكرة بعض الشىء . . . ولكن عند ما انتهى اليوم كان اثنى عشر مليونا من الأسهم والسندات قد بيعت بخسارة كبيرة خشية هذا الهبوط .

وكان يوما الجمعة والسبت أحسن حالا . . . ولكن فى يوم الإثنين عادت الحال إلى أسوأ مما كانت ، وعند ما علا صوت الناقوس فى القاعة الكبرى ببورصة الأوراق المالية يدق دقاته العشرة فى صبيحة يوم الثلاثاء كانت الأسعار قد وصلت إلى الحضيض ، واضطربت المواصلات التليفونية . وفى نصف ساعة بيعت ثلاثة ملايين من الأسهم ، وعند منتصف النهار كان عدد الأسهم التى بيعت قد وصل إلى ثمانية ملايين ، ثم إلى اثنى عشر مليونا عند الواحدة والنصف ، وعند ما حان موعد الانتهاء كان العدد قد وصل إلى سبعة عشر مليونا !

وبدأت أمريكا تنصت لأنباء جديدة عن حوادث انتحار ، وعن إقفال المصارف لأبوابها فى وجه المذعورين الذين جاءوا يسحبون أموالهم المودعة فى المصارف ، ثم عن البضائع التى فى المتاجر ولا تلقى من يفكر فى الشراء . . . وكانوا فى برودواى يعرضون قصة (أنوار المدينة) لشارلى شابلن ، وقد وقف جمع كبير من الناس فى صفوف متراصة عند باب الملهى فى انتظار العرض ، وسأل عابر سبيل : « هل هذا حانوت لبيع الخبز ، أم هو أحد المصارف ! »

وبقى الذعر والخوف يكتسحان أمريكا لثلاثة أعوام كاملة ، إلى أن تمكنت ثانية بمجهود جبار أن تستعيد سكينتها ، أو على الأصح أن يجد كل فرد موطنا لقدميه كى يقف معتدلا ، ولكن باقى العالم لم يوفق إلى شىء كهذا . . . فإن الأيام الخمسة التى اجتاحت سوق الأوراق المالية فى نيويورك فقوضت من جدرانه ، كانت إنذارا لشىء أكبر من نهاية عهد هادرنج وكوليدج . . . فإن هذه الأيام الخمسة

قد قوضت ما فعلته لوكارنو ، وحولت أحلام بريان وسترسمان إلى كابوس . . . ودفعت آسيا إلى الحرب ، ووضعت من فرنسا لترفع ألمانيا ، وعادت بالجنس البشرى إلى العشرين سنة الأولى من القرن العشرين ، وقتما كان العالم يعج بالجيوش التى تملأ طرقات المدن زاحفة إلى ميادين القتال .

كانت أمريكا قد قطعت خط الحياة المالى عن أوروبا ، وكانت قد أقامت جدارا عاليا من الجمارك فى وجه تجارة العالم مع ضرورة سداد ديون الحرب ، وكانت قد أغلقت خزائنها على احتياط الذهب لتستطيع أن تخفض الأسعار ، واستطاعت لعدة أشهر قليلة أن تخفى هذه الحقيقة المروعة ، ولكن هذا كله لم يمنع انتشار الوباء إلى كل دولة فى كل قارة .

وفى عام ١٩٣٣ كان فى العالم ثلاثين مليونا من العمال العاطلين ، وهبطت تجارة العالم إلى ثلاثين فى المائة من مستوى عام ١٩٢٩ ، وفى تتابع سريع ثارت خمس ولايات فى أمريكا الجنوبية على حكامها الذين كانوا قد أسسوا ديكتاتورياتهم على دعائم مالية مقترضة من نيويورك ، وكانت هناك ثورة مكبوتة فى بورما وأخرى فى جزر الهند الشرقية ، ثم بدأت ثورة بين المزارعين فى الهند وتحولت هذه إلى ثورة عامة على الحكم الانجليزى .

* * *

وكانت الأزمات تتوالى فى أوروبا ، كان البنك الرئيسى فى فينا قد أغلق أبوابه ، وكانت المتاعب المالية تتعاقب فى ألمانيا وبريطانيا ، وضاعت وزارة العمال الإنجليزية فى إحدى الأزمات ، واجتمع سياسيو العالم فى لندن وجنيف يحاولون إعادة نصب السلم والرخاء فى العالم إلى مكانه ، ولكن أصوات عجلات المدافع لم تلبث أن أغرقت الأخشاب المرنة التى كانوا يقفون عليها وسط بحر مضطرب الأمواج .

وأدت ثورة عنيفة فى مكدن فى سبتمبر ١٩٣١ إلى إلهاب نيران الحرب فى الشرق الأقصى ، وكانت اليابان التى اهتزت لذات الموقف الاقتصادى فى العالم ، تبعث بالجنود فى جموع هائلة إلى منشوريا ، وفى أقل من عام كان ثلاثون مليونا من الصينيين تحت حكم اليابان ، ذلك الحكم الذى يقوم على العنف والتعذيب والاضطهاد . . على أن أمم أوروبا كانت جد مشغولة بنفسها ، فلم يكن لديها أى وقت للتفكير

فى آسيا ، كان فى ألمانيا وحدها ثلاثة ملايين من العاطلين ، وكان نصف الشبان بين السادسة عشر والثانية والثلاثين بلا عمل ، كان كل شىء يتجه إلى إغفال فرساى ، والتنصل من التزامات فرساى . . وكانت أمة فردريك وبسمرك والقيصر غليوم تتحرك وئيدا إلى العمل ... إلى الحرب ..... الحرب القادمة !!!

* * *

كان الجنرال كونت فون شليخر يعمل فى الجيش الألمانى عند ما أمكن سحق الثورة الألمانية الحمراء فى عام ١٩١٩ . . ، وعند ما انتهت الثورة كان شليخر لا يزال فى ألمانيا ، ولكنه كان أوسع نشاطا من أن يقنع بمكانته فى الجيش ، وشليخر جم النشاط .. ماهر .. لا يجهده العمل المتواصل ، ثم هو بعد هذا كله عنيف ملىء بالجرأة واسع المطامع ، ولهذا ففى الأعوام الثلاثة التى سبقت وصول النازيين إلى الحكم ، كانت السياسة الألمانية كلها تدور حوله وحده .

كان شليخر يريد ألمانيا مسلحة من جديد ، وكانت المصانع تعمل بجد وراء أبواب مغلقة ، وكان مسيطرا على أذنى الرئيس هندنبرج ، وراح القائد الشيخ يفعل كل ما يطلبه ، وكان أول أعمال ديكتاتوريته أن طرد وزارة تحوز ثقة الريشستاغ ، وعين هينريش برونتج مستشارا ، ليحكم دون الاستناد إلى الريشستاغ ، كان هذا نهاية جمهورية ويمر ، وقد ذهبت غير مبكى عليها ، وكانت العقبة إذ ذاك هى : كيف يمكن أن تموه العسكرية الألمانية وهى تخرج من الرماد ؟؟ واعتقد شليخر أن فى يديه مقاليد الأمر .

وكون الجيش من ستمائة ألف مقاتل ، وأنشئت ميليشيا خاصة ، جمعها الكبتن روهم من الطرقات للعمل فى الطرقات ، وروهم الذى اقترن اسمه بأقوى التنظيمات الشعبية لمقاتلى الطرقات والشوارع ، وكان ادولف هتلر نفسه يجوب ألمانيا بسيارة مرسيدس فى البداية ، ثم بعد ذلك بالطائرة لإشعال نيران الحماسة فى الغوغاء ، وكان هتلر يجد فى أوقات فراغه الفرصة للاجتماع بكبار رجال الصناعة الألمانية وزعماء جبهتها ، واستطاع ببعض الخطب الجوفاء ، والوعود السخية ، أن يؤثر فى الدهماء وساسة الطرقات ، وأن يجعل منهم أعوانا وأنصارا له . . . حتى أصبح حزبه الجديد أقوى حزب فى ألمانيا ، ونال فى انتخابات يوليو ١٩٣٢ مائتين وثلاثين مقعدا فى الريشستاغ .

وكان شليخر لا يزال معتقدا أن فى وسعه أن يرقص الأشباح التى يظهرها على المسرح أمام النظارة وهو مختفى وراء مقعده فى رياسة جيش الريخ الجديد ، فطرد برونتج وأجلس مكانه الرجل السميك الرأس فون بابن ... وبدا إذ ذاك بوضوح أن شليخر يقف سادا طريق هتلر .

كان كلا الرجلين يعتقد أن فون بابن أسيره ، وفى لحظة ما هدد شليخر بأن يمزق لابسى قمصان هتلر برشاشات الجيش . . . ولكنه فى اللحظة التالية فكر فى أن الأصلح والأحسن أن يعود إلى السياسة .

كان هتلر هو الذى خرج منتصرا فى معمعة الانتخاب ، ولكن هذا شىء يستطيع هندنبرج أن يجد له حلا ، واجتمع الرجلان فى الثالث عشر من أغسطس ولمدة خمسة عشر دقيقة فقط ، واتكاء الشيخ الذى وصل إلى الرابعة والثمانين من عمره فى مقعده ، وسأل هتلر عما إذا كان مستعدا ليأخذ نصيبه فى حكومة فون بابن الأهلية ، وأجاب هتلر أنه إنما يريد كرسى المستشار دون غيره ، كالحكم الذى يتولاه موسولينى فى إيطاليا ، ولكن الشيخ بقى عند رأيه ، فهو لا يستطيع أن يعطى حزبا واحدا قوة مطلقة .

وعاد هتلر إلى الطريق وحيدا . بعد أن حصل على أكبر نصر حصل عليه فى حياته ، ولكنه لم يجن منه أية ثمرة ... وتملكه الغضب ...

وكانت هذه الخمسة عشر دقيقة هى ذروة ما يمكن أن يصل إليه حزب النازى الألمانى ، وهى التى سببت إقالة وزارة فون بابن ، وحلت الريشستاغ ، وعند ما أعيد الانتخاب هبطت أصوات النازى فى مجموعها بمليونى صوت ، لأن الحزب كان يتمزق داخليا ، فإن جنود العاصفة فاترون وغير راضين ، وأخبر هتلر نفسه صديقه جوبلز بأنه يحتفظ دائما بسلاح نارى ليختتم به حياته فى أية لحظة !!

كان شليخر قد وطد قدميه ، فقد عاون على قتل الثورة الحمراء بعد الحرب ، وقوض جمهورية ويمر ، وهزم النازيين فى المناورة الأخيرة ... وبذلك فما من فرد أو جماعة يمكن أن تقف فى طريق سلطانه ...

كانت هذه أحلام رجل نسى أن الثورات لا تصنع فى القصور بل فى الطرقات ، كانت ألمانيا لا تزال مثقلة بالجوع والبطالة ، وهما عاملان ينخران عظام أقوى أمة ، فكيف بها وهى لا تزال ممزقة الأوصال من أثر الحرب ، فإذا فشلت النازية فمن

الذى يستطيع إنقاذ ألمانيا ؟؟ .. ، وأدرك فون بابن وهندنبرج أنهما يخشيان سقوط هتلر أكبر مما يخافان هتلر نفسه .

كان فون بابن تواقا لأن يثأر لنفسه من شليخر ، فأمسك باذن هندنبرج يكرر على مسامعه أن هتلر هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يضع حدا لهذا الاضطراب ، وكان يكرر عليه فى كل لحظة « استدع هتلر إلى هنا ولا تحول الأمر من سيء إلى أسوأ . . »

وهكذا فى ليلة ٣٠ يناير مرت جموع هائلة تحمل المشاعل أمام قصر مستشارية الريخ وقد وقف هندنبرج فى إحدى النوافذ ووقف فى النافذة المجاورة أدولف هتلر .

* * *

وبعد ثمانية وعشرين يوما فقط من هذا العرض الليلى ، وجد شاب هولندى فى الرابعة والعشرين من عمره ، ضعيف البصر مختل الشعور نفسه وحيدا لمدة ثمانية عشر دقيقة داخل بناء الريشستاغ فى برلين ، العاصمة التى لم يزرها من قبل قط ، ومعه إضمامة من الثقاب ، وكان لا يعرف إطلاقا أين هو ... ولا كيف جاء ... ولا لماذا حمل هذه الوسائل التى تعتبر وسيلة للنيران ، فكان أن أشعل النار فى قميصه ، ثم فى غطاء قديم من أغطية المناضد ، ثم فى معطفه ، وأخيرا فى مقعد كبير من الجلد .. ، وقد عاون فى هذا الاشعال سائل قابل للالتهاب كان قد سكب على كل الأثاث ، وحدثت فرقعة هائلة للغاز المتصاعد من السائل .

وأضاء اللهب سماء برلين ... ، وبعد ثمانية دقائق فقط من بداية الحريق شق وزير الداخلية الجديد ، الجنرال جورنج ، طريقه وسط الجموع المتزاحمة حول البناء المحترق ، وعند ما وصل إلى الحلقة الداخلية حيث وقف جمع من كبار رجال الدولة قال ،.. « إنها ثورة يقوم بها الشيوعيون . . » وكان على قيد خطوات منه أدولف هتلر نفسه ، ولعله سمع حديثه ، لأنه عقب عليه بقوله : « أنها علامة من السماء فلنحذر وجودهم !! .. »

وفى الصباح التالى وافق هندنبرج على تعطيل كل الحريات العامة ، وأعطيت ألمانيا فرصة لانتخاب جديد ، وتولت فصائل جنود الهجوم المسلحين صناديق الانتخاب ، وفى الثالث والعشرين من مارس عرض على المجلس الجديد قانون بإعطاء هتلر سلطان الديكتاتور ، ومرة أخرى وقف جنود الهجوم خلف مقاعد الأعضاء ،

وقد قبضوا على مسدساتهم بأيديهم ، حتى هتلر نفسه ، صاح بالأعضاء : « اختاروا بين الحرب أو السلم ! » ومن ذلك اليوم كان هتلر سيد ألمانيا ، التى تعمل للسيادة على أوروبا ، وكانت لا تزال هناك بقية من قضية حريق الريشستاغ . فإن المحاكمة التى عقدت فى ليبزج قد فشلت فى الكشف عن حقائق الدعوى ، بل ولا تزال حقيقة الأمر حتى اليوم مجهولة تماما .

وكان على رأس قائمة الاتهام رجل بلغارى أثبت أنه كان فى مونيخ عند ماحدث الحريق ، ولكن فردا لم يصدقه ، أو يقبل مناقشة الأدلة التى قدمها ، كان اسم هذا الرجل جورج ديمتروف . وقد صاح ديمتروف : « تريدون محاكمة سياسية ! والله إنكم لواصلون إلى هذا ! . . . وليكن ما تريدون . . . » .

وكان هذا آخر صوت حر سمعته أوروبا يخرج من قلب ألمانيا لمدة ستة أعوام متوالية . . .

سلاماً لوكارنو

هل هو سلم حقيق ....

مستر أوستين تشيمبرلين يوقع معاهدة لوكارنو مع مستر بلدوين إلى يمينه
رقم ١ فى الصورة مسيو بريان رقم ٢ الهرستريسمان . . .

الرجل الذى كان يستطيع إيقاف هتلر

وفى هذه الأيام المضطربة التى عرفها عام ١٩٣٣ كان هناك سياسى واحد فقط فى العالم كله يعرف أن هذه الفورة النازية ستدمر كل بناء أوربا ، وأعد هذا الرجل قبضته للضرب ...

كان هذا الرجل هو المستشار ديلفوس النمسوى ....

* * *

وكان هتلر قبيل حريق الريشستاغ بأيام ، قد قال بأن الممر البولندى يجب أن يرد إلى ألمانيا ، وفى اليوم السادس للحريق طار هتلر عبر بولنده إلى بروسيا الشرقية ، وكان الخوف كل الخوف أن يطلق قياد نازى دائخ فجأة ، فيمسكون بمخازن الذخيرة البولندية الموجودة فى الميناء .

وأعد جوزيف بيلسوديسكى ديكتاتور بولنده عدته ليضرب قبل أن يضرب ، وفى الحادى والعشرين من أبريل قام خمسة وثلاثون ألف جندى تصحبهم الدبابات والطائرات والمدفعية بعرض كبير فى طرقات فيلنا ، وقد استدعى وزير بولنده المفوض فى برلين إلى ويلهلمستراس وسئل : « هل يعنى هذا الحرب أم السلم ؟ » ، وفى وارسو نفسها كان وزير فرنسا المفوض يتصل تليفونيا بباريس ليسألها : « هل إذا خطا بيلسوديسكى تخطو فرنسا معه أو تتركه وحده ؟؟ » وعند ما قالت باريس : « لا ! » تنفس هتلر الصعداء إلى حين . . .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، وصل بيلسوديسكى إلى الاعتقاد بأن بولنده إذا لم تكن لتستطيع الوقوف من ألمانيا موقف العداء المكشوف ، فإن الأصلح لها أن تتخذ منها صديقة لها ... ، وهكذا بعد عام واحد من اتفاقية كيلوج ، وقعت ألمانيا وبولنده معاهدة عدم اعتداء ....

وضاع هباء ذلك العمل الذى بذلت فيه فرنسا عدة أعوام لمحاولة إيجاد حليف قوى فى شرق ألمانيا لمناصرتها . . . وهكذا تفتت الركن الأساسى للحلف المنشود ، أمام أول جولة للنازى .

* * *

وكان وسط أوروبا نفسه غير هادئ ، بل كان أبعد من أن يقال عنه أنه مستقر .

كانت الليلة ليلة الحادى عشر من فبراير عام ١٩٣٤ . . . وكان المكان ركنا هادئا من أركان فينا الهادئة . . . وعلى ضوء المصباح الخافت كانت تبدو على وجوه المجتمعين علامات الاهتمام والجد ، وضرب الرجل الذى يتصدر المكان المنضدة بقبضة يده ، ثم وقف من مقعده وهو يقول : « سادتى ! ما دام المستشار ديلفوس معنا فغدا يمكن أن نبدأ العمل . . . » وكانت هذه الكلمات إيذانا بالانصراف .. ولو أمكن التحديق فى الوجوه لأمكن التعرف على الرجل الذى يتصدر الجمع ، فقد كان هو الميجر فاى زعيم التنظيمات العسكرية الفاشية فى فينا ، بل لأمكن معرفة بعض كبار الرجال فى تلك التشكيلات التى قامت على غرار تنظيمات الفاشيست الإيطالية .

وجاء الصباح التالى وكان شديد البرودة ، تغطى سماءه سحب كثيفة ، ولكن مع هذا كانت المدنية القديمة قد استيقظت وبدأت الحركة تدب فى أرجائها ، وفى العاشرة والنصف قيل للمستشار ديلفوس أن بعض الناس يطلبونه فى التليفون ؛ وكان هؤلاء بعض قادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى فينا الذين كانوا يلحون فى مقابلة المستشار لمسألة هامة ، ولكن الرجل اعتذر فهو لا يستطيع البقاء لانتظارهم ، فقد كان حتما عليه أن يسرع إلى كتدرائية سانت ستيفين لحضور صلاة جامعة تقام لذكرى تولى البابا عرشه .

وبعد الساعة الثانية عشرة بقليل توقفت بعض قطرات الترام الكهربائية فى وسط المدينة ، فى أكثر النقط تزاحما ، هجرها عمالها بلا سبب ، وانصرفوا عنها بعد أن حملوا الأدوات التى يمكن بها إدارتها . . . ، وأعلنت الحكومة أن هذا العمل إشارة للاضراب العام .. ، فلم يكد يحل المساء حتى أعلنت الأحكام العرفية وبدأ الميجر فاى ورجاله العمل بسرعة بمعاونة البوليس والجيش .

وبقيت مدافع الميدان ثلاثة أيام متوالية تطلق قنابلها على أحياء العمال ، وشقت ثغرات فسيحة فى الجدران ، واقتحمت جنود الجيش أبواب الدور ، وفى اليوم الثالث كان جزء كبير من فينا قد خرب ، وكانت الطرقات مليئة بالأنقاض من الأحجار والزجاج وجثث القتلى والجرحى . . . ، وفى وسط هذا كله كانت الدماء تغطى كل شىء . . .

وكان التخريب عنيفا مؤلما ... فقد دمر نصف مبانى فيينا وقتل نصف الرجال الذين يمكن أن يدافعوا عنها ... والغريب أن الرجل الذى أمر به ، كان هو الدكتور انجيلبرت ديلفوس مستشار النمسا ، الرجل الذى يدافع عن استقلالها ، ولكنه لم يجد مفرا من هذا ... أنه كان ينظر إلى الأمر من أدق نواحيه ... على أن الأمر بمذبحة الحزب الاشتراكى الديمقراطى لم يصدر إلا من روما ... إذ كان ديلفوس مضطرا إلى أن يستند على عضد قوى ، وظلت القطارات عدة أشهر تمر عابرة الحدود مثقلة بالأسلحة والذخائر . . ، وفى أعقاب هذا كله كانت الدعاية له تمر عبر الحدود إلى ألمانيا نفسها ... ثم استطاع موسولينى أن يحصل على تصريح مشترك من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا (بضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا .) وقام ديلفوس بالاتحاد الداخلى ، بأمل المعاونة التى تجىء من الخارج ، وبعد أسابيع قليلة التقى الديكتاتوران هتلر وموسولينى فى البندقية وقد وقف كل منهما يحدق فى الآخر مليا ثوان قليلة ثم تصافحا . ووعد أولهما بأن يوقف أعمال الإرهاب التى يقوم بها نازيو النمسا ... وصدقه الثانى !!

ثم افترقا . . . وظن الذين أحاطوا بهما عند اللقاء أنهما صادقان ، ولكن بعد أربعين يوما فقط من هذا اللقاء التاريخى ، وبينما كان ديلفوس جالسا وحده فى مكتبه بقصر بالهوز بلاتز ، إذ فتح الباب فجأة على مصراعيه ، ودخل الغرفة الفسيحة نفر من الإرهابيين النازيين ... وعلا صوت الطلقات النارية ، فسقط الرجل مضرجا بدمائه ... ثم لم يلبث أن لفظ نفسه الأخير ..

وفى اليوم التالى وقف الديكتاتوران يحدقان فى بعضهما البعض حول جثة ديلفوس . كانت القوات الإيطالية تسير مسرعة إلى ممر برنر وكتبت (الميساجيرو) تقول فى افتتاحيتها : « والواقع أنه لا يمكن الاطمئنان دائما إلى وعود الحكومة

الألمانية . ونحن لا نستطيع أن نتفاوض مع أناس يفشلون فى احترام قوانين الشرف . أن أية دولة فى العالم اليوم تملك الحق كله فى حرية مطلقة للعمل ضد ألمانيا ... »

كانت إجابة برلين على هذا التهديد الصريح للحرب بصمت بليغ . وكان قد أذيع فى مساء يوم الحادث من محطة الإذاعة بمونيخ حديثا عن ثورة الأهالى الألمان فى النمسا . ولكن الرجل الذى اعتبر مسئولا عن هذا فصل عن عمله ...

وكانت النمسا فى الحقيقة ـ إحدى أعمدة الدفاع عن فرنسا ـ تهتز كريشة فى مهب الريح .. ولكن الذى أنقذها فى تلك اللحظة الرهيبة ، لم يكن فرنسا ، بل كان ذلك الديكتاتور الآخر الذى يقف جنوب ممر برينر .

* * *

ثم مرت أيام تعد فى حساب الناس بالشهور ولكنها فى حساب الزمن والتاريخ لا شىء ...

وفى ليلة التاسع من يناير عام ١٩٣٥ رجع بيير لافال إلى باريس منتصرا . كان كعادته قاتم الوجه مزموم الشفتين ولولا رباط عنقه الأبيض لضاعت معالم وجهه وجسمه فى ذلك الثوب الأسود الذى كان يرتديه دائما ، ولكن هذا كله لم يكن يدل على الموهبة التى ارتفعت به من « صبى جزار » إلى رئيس وزراء لفرنسا .

كان عائدا من روما بعد أن قابل موسولينى ... فقد ذهب للقائه بفكرة أن الصداقة التى تربطه بإيطاليا ، يمكن أن تطيل عمر الحلف الذى كونه الساسة الفرنسيون قبله فى شرق أوروبا . وحصل لافال على ما يطلبه ثمنا لقطعة من الأرض فى الصومال الفرنسى ، أعطيت لايطاليا ... قطعة مقفرة من الأرض ولكنها كانت فى رأى موسولينى خيرا من لاشىء ، لاسيما وقد قال عن نفسه فى موضع المباهاة أنه هاوى جمع الصحروات على مثال هواة جمع التحف !! وقد تشاور الرجلان فى أمر النمسا ، واتفقا على الوقوف فى وجه الألمان ، ولكنهما فى الواقع تفاهما أيضا على امبراطورية موسولينى الرومانية ، فعند ما ذكر بعض الناس لافال بأن الحبشة من أعضاء عصبة الأمم صاح : « يا الهى !! هل هى حقا فى العصبة ؟؟ .. »

فكانت فكاهة الجيل ...

واعتبر الناس لافال منتصرا ، وقوبل فى باريس بالترحاب ، وعندما أعلنت ألمانيا التجنيد فى مارس كان فى استطاعة لافال أن يجلس مطمئنا فى اجتماع أنصار العصبة فى ستريسا ، وكان هذا الاجتماع مشهود ، فعند ماترك ضيوف موسولينى المنضدة عزفت الموسيقى النشيد الوطنى الانجليزى « حفظ الله الملك » ثم أعقبته « بالمارسيليز » وأعلن مستر ما كدونالد أن الدول الثلاث قد أعلنت اتحادها التام فى كل شىء ...

وعند ما سأله أحد الصحفيين : « هل بحثت موضوع الحبشة مع موسولينى ؟ » أجاب ما كدونالد بهدوء طبيعى : « إن سؤالك يا صديقى غير واضح !! .. »

وبعد ثمانية أشهر أخرى كانت الدنيا التى يحلم بها لافال قد تبددت فى الهواء ، كان امبراطور الحبشة قد أمطر عصبة الأمم وابلا من قنابل الاحتجاج الصارخ ، وراح الشعب البريطانى يطلب فرض العقوبات التى نص عليها عهد عصبة جنيف على إيطاليا ، ومسحت الحكومة الإنجليزية شيئا من الماضى بتوقيع معاهدة بحرية مع ألمانيا .. ، واجتاح فرنسا شعور عدائى لبريطانيا بات فرنسا أمامه مرغمة على أن تتخير بين إيطاليا وبريطانيا ، فكانت أكبر مشكلة واجهت فرنسا ، لا فى القرن العشرين وحده ، بل ومنذ أيام بونابرت . . .

وكانت الأيام تخبىء ما هو أسوأ من هذا ، فقد اعتلى السير صمويل هور منصة مجلس العصبة فى جنيف ، ليعلن أن بريطانيا إمينة على عهدها مخلصة لمبدأ « المقاومة الاجتماعية لأى إعتداء » ، وبدأ مستر بلدوين الكفاح للانتخابات بذات الفكرة ، ولكن موسولينى أصم أذنيه ، وتابعت جيوشه زحفها ، فكانت أصعب أيام تواجه فرنسا .

وكان على مسيو لافال أن يسير بخطى متمهلة ، وحاول فى مفاوضات سرية مع السير صمويل هور أن ينقذ حليفته فى الجانب الآخر من الألب ، ونقلت كلماته إلى لندن وفى الساعة الرابعة والعشرين كان سعيدا عند ماعلم بأن آراءه كسبت له موافقة قلبية من مستر بلدوين .

وبعد أربعة عشر يوما ثار الرأى العام الانجليزى فاقتلع السير صمويل هور من مقعده ... وكانت العاصفة شديدة طوحت بجميع الأفراد الذين كانوا فى طريقها ، إلا مستر بلدوين فقد وقف كالصخرة لا يلين ووقف مغلقا شفتيه لا ينطق للاجابة

على سيل الأسئله التى توجه إليه ، ولـكنه فى الواقع كان قد نفض يديه من السياسة التى وافق عليها قلبيا .

وعند ما بدأ مستر بلدوين يضرب ضرباته بسرعة ، استعاد هتلر حرية التسليح ، وأعد موسوليني العدة لحرب جريئة فى الربيع ، تاركا لافال وحيدا يحاول إنقاذ بقايا سياسته المتداعية .

* * *

و يجب أن نتوقف هنا قليلا لنتحدث عن قصة غريبة هى مقتل « هوى لونج » وهى قصة لامكان لها فى مأساة أوروبا ، فقد حدثت فى لويزيانا أبعد ولاية فى الولايات المتحدة للجنوب ...

ولـكن هوى لونج كان له نصيب فى المأساة المجهولة التى تجمع تاريخ العالم ، فقد كان ديكتاتورا صغيرا فى هذه الولاية ، كأن أمريكا كان مفروضا عليها أن يكون لها هى الأخرى هتلر آخر ! ! فقد جاء هوى إلى مقعد الحاكم هابطا من أفق البؤس والفاقة ، فى أعقاب الثورة المالية التى اجتاحت كل شىء ، فنفض يديه من أساليب الحكم الديمقراطى ليهدم الرأسمالية ، وكان مبدؤه أن كل رجل ملك فى نفسه ، فوعد الناس بالرخاء على أن يكون لـكل فرد منزل وسيارة وجهاز للراديو ثم عشر جنيهات فى الأسبوع ، وكان محاميا لبقا توفرت فيه كل عوامل الجرأة والمقدرة على القيادة .

وبنى هوى المدارس والمستشفيات وشق الطرق ، وحل الأحزاب السياسية ، وحارب الصحافة ، وجمعيات أصحاب الأعمال ، ورفع الأجور ثم سحق كل أولئك الذين عارضوه ، وترك الأسلاب غنيمة لأنصاره .

وفى ليلة الثامن من سبتمبر عام ١٩٣٥ ترك شاب فى مقتبل العمر هو الدكتور كارل أوستن ويس منزله بعد أن أخبر زوجته أنه ذاهب لعيادة مريض ، ولـكنه كان فى الحقيقة ذاهبا ليرتكب جناية قتل .

وتذكر الدكتور ويس قصة شقيقة له ... ثم شقيق آخر ، كانا قد فقدا حياتهما فى إحدى حملات هوى الارهابية ، فلم يكد يصل إلى الـكابيتول حتى توقف عن السير ... كان هوى لونج يقترب فى حراسة ثلاثة من رجاله ، بعد أن وقع بعض

أوراق لمشروع جديد للضرائب ، وعند ماوصل إلى الباب التفت إلى الرجال الثلاثة ليقرئهم السلام وليذكرهم بالعودة إليه فى الغد .. ، وخرج الدكتور الشاب من وراء الأعمدة ثم أطلق عليه الرصاص ، وسقط القاتل مصابا بإحدى وستين رصاصة ، أطلقها عليه رجال هوى ، فمات لساعته، وأخذ هوى يردد أنفاسه الأخيرة متمهلا .

وبقى الديكتاتور الصغير إحدى وثلاثين ساعة يملى كتاب كفاحه ، الذى كان عدته للوصول إلى «البيت الأبيض» ، وتكته لو يزيانا ، وبقى برنامجه حيا بعد وفاته ، وكان لهذا الرجل تأثيره السحرى إلى درجة أن شقيقه اختير بعد أربعة أعوام من وفاته ليكون حاكما للولاية ، ولقد كان هوى برغم كل شىء عظيما ، ولا شك أن أمريكا هى بلد الذين يعملون فى إخلاص من أجل الجماهير . . ولكن كانت عظمة هوى فى أنه جاء فى مقدمة هؤلاء الناس . . .

وفى الأيام العشرة الأولى من ربيع عام ١٩٣٦ اقتربت أوروبا مرة أخرى من الحرب ، فبعد ظهر الثامن والعشرين من فبراير احتلت القوات الإيطالية جبل امبا آلاجى ، وفى نفس الليلة جدد فى باريس حلف فرنسى — روسى .

كان هتلر فى مكان المراقبة ، وكان لايعرف ماذا يمكن أن يجىء به الغد ، ولهذا كان واجبه أن يعمل بسرعة ، استدعى رئيس أركان حربه بلومبرج ، ولكن بلومبرج قال : . . . لا ! . . ، وطلب هتلر اجتماع مجلس الريشستاغ بعد ظهر يوم السبت ، ولكن بلومبرج ظل كما هو ، يقول : . . . لا ! . . . ، ولكن فى تلك الليلة ، عند مااجتمع هتلر وجورنج وآخرين ، وضع القرار الحاسم ، وشربوا نخب المخاطرة التى سيقدمون عليها .

وعند ماوقف هتلر فى ظهر اليوم التالى يتحدث كان مصفر الوجه عصبى المزاج ، وحمل هتلر على لوكارنو وهاجم الحلف الروسى الفرنسى ثم قدم يده بخطة لسلم أمده خمسة وعشرين عاما ، ثم تهدج صوته وهو يقول «وفى هذه الساعة الرهيبة التاريخية تحتل القوات الألمانية فى الولايات الغربية معسكراتها لوقت السلم المقبل . —

وعلت ضجة فى مجلس الريشستاغ ضاع وسطها صوت هتلر فلم تسمع أوربا شيئا فى المذياع ، كان ثلاثون ألف جندى ألمانى يسيرون فى أراضى الرين غير المسلحة والتى كان لزاما أن تظل كذلك كنص معاهدة فرساى ، وسمعت باريس الأنباء فتصايح الناس « إلى الحرب ! . . إلى التعبئة ! » .

واجتمع مجلس الوزراء الفرنسى فى الحال ، وجاء قادة الجيش إلى مكان انعقاد المجلس ، ووافق الكثيرون على إعلان التعبئة ، ولكن كان معنى التعبئة إما أن تعود ألمانيا أدراجها وإما الحرب .

كانت بولندة على أتم أهبة للسير إلى الشرق . . . ولكم ماذا يمكن أن تقول بريطانيا ؟ . . . ثم ماذا يقولون أيضا عن إشاعة إعداد جورنج لألفى طائرة متأهبة لتطير فوق باريس ؟ . . . وبعد دقائق حرجة قرر مجلس الوزراء الفرنسى تقوية حرس الحدود ، ورفع الأمر إلى عصبة الأمم ! !

وتخلصت فرنسا بسرعة من أكبر هزيمة لحقت بها منذ أيام فرساى ، فلم يأتها اجتماع مجلس العصبة فى لندن بشىء ، وهكذا أضاعت فرنسا الفرصة ... واستطاعت ألمانيا أن تضع وراء الباب مزلاجا من حديد ...

وقال جوبلز الذى يعرف حقيقة النصر الذى حصلت عليه ألمانيا : « لقد مرت علينا ليال طويلة دون أن نغمض أعيننا » .

وعند ما وقف هتلر ليتحدث للجماهير قال : « ليست لنا أى مطالب إقليمية أخرى فى أوروبا ... » ولكنه كان يعلم علم اليقين ماذا يمكن أن يطلب فى الأيام المقبلة .

.....

أوروبا تتفكك

ولكن كان هناك شيئا لم تنسه فرنسا ولا يجوز أن نغفله نحن بدورنا ... ، ذلك هو صداقتها بحكومة روما ... فى يناير عام ١٩٣٥ كانت اتفاقية روما بين الدولتين تبشر بأن لها الثمار التى يمكن أن تجنى فى الغد ، وفى يوليو زار الجنرال جاملان رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية زميله الإيطالى الجنرال بودوليو ، وفى سبتمبر من نفس العام رد بودوليو الزيارة بأحسن منها ... وبدا أن الاتفاق تام وأصبح فى استطاعة فرنسا أن تترك الحدود المشتركة بينها وبين إيطاليا غير محروسة ، كى تحشد كل قواتها لمواجهة الألمان فى الشمال الشرقى ، وكانت إيطاليا قد فعلت هذا مرة من قبل فى بداية الحرب العالمية الأولى وبذلك تمكنت فرنسا من نقل الجنرال فوش وفى صحبته ثلاثة فيالق من حدود إيطاليا وألقت بهذه القوة الجديدة للشمال ، فكان أن تقرر مستقبل أوروبا كله فى موقعة المارن الأولى .

ثم وقفت إيطاليا أيضا إلى جانب فرنسا فى التطاحن السياسى ، فقد كان الألمان يرون أن الحلف الفرنسى — الروسى ينقض عهد لوكارنو ... ووجهت ألمانيا فى الخامس والعشرين من مايو مذكرة إلى كل من بريطانيا وإيطاليا بهذا ، ولكن فى الخامس عشر من يوليو بعثت إيطاليا بردها : « إن الحكومة الايطالية تتشرف بأن تخطر الحكومة الألمانية أنها ترى إلى غاية ما يعنيها الأمر — بأن الحلف الفرنسى الروسى يتفق تماما مع عهد لوكارنو ... »

وآن لايطاليا أن تحصل على شىء فى مقابل هذا ...

فى خريف عام ٩٣٥ أقامت الحملة الايطالية الموجهة ضد الحبشة الدنيا بأكملها ، وكان أول أثر لها تمزيق علاقات الود التى كانت بين بريطانيا وإيطاليا ... وكان الناس يظنون أن إيطاليا ذات الشواطىء المفتوحة لن تحتمل مدفعية الأسطول البريطانى الذى يمخر عباب البحر على قيد خطوات من سواحل إيطاليا ... وكانوا يشبهونها بجندى المرور الذى يحاول إيقاف الحركة بذراعه ، وذراعه أضعف

ما فيه !! ... ولكن غاب عن هؤلاء أن الخمسة عشر عاما التى مرت منذ فرساى ، قد صحبتها ثورة واسعة المدى فى صور الحرب إذ أصبحت الطائرة سلاحا حاسماً ، ولم تعد إيطاليا غرضاً معرضا لمدافع الأسطول ... بل قاعدة تثب منها الطائرات لمهاجمة الأسطول البريطانى والموانى القريبة ، وبذلك لم تعد إيطاليا هى الغرض المعرض ، بل بات البحر الأبيض — طريق بريطانيا إلى الهند والشرق الأوسط — هو الغرض المكشوف للطائرات الايطالية .

كان الأسطول الانجليزى قويا ، وبريطانيا أقوى ولا شك فى السفن والرجال والمال ... ، ولكن كانت إيطاليا الفاشية قوية فى أسطولها الجوى الملىء بالطائرات نعم إنها كانت طائرات رخيصة الثمن ، ولكنها كسلاح للضرب تعتبر شديدة الايذاء ، لا سيما إذا قدرنا أنه لم يكن لدى الأسطول البريطانى كفايته من طائرات الوقاية الجوية ... وأن أية معركة تصادمية ستكون مخاطرة لا قبل لبريطانيا باحتمالها ...

ويبدو أن أولئك المسئولين عن سياسة بريطانيا كانوا لا يقدرون هذه الحقيقة ولذلك سدّوا وراء ظهورهم أصلح الطرق للانسحاب ... ، ومن ثم اندفعوا مرغمين نحو هزيمة سياسية ، وسط الفيضان الذى جاءهم عن طريق أبواب السد المائى ... الأبواب التى فتحوها بأيديهم ...

وجاء انتونى ايدين بعد ذهاب هور ، فحاول أن يعبىء قوى العالم كلها ضد إيطاليا ، ولذلك قبل أن تتولى بريطانيا الدفاع عن حدود فرنسا ، ولكن لافال — الذى كان فى نشوة تفاهمه مع روما ، وقلقه من الاتفاقية البحرية بين ألمانيا وبريطانيا — رفض هذه المنحة !!؛ لأنه كان واثقا كل الثقة من أن بريطانيا ستدافع عن فرنسا فى حالة اعتداء ألمانيا على أراضيها الشرقية سواء أسار فى ركاب ايدين أو توقف عن السير ، وما دام يثق بهذا فلماذا إذن يجازف فيسحب يده من يد عاهل روما ؟ !.

ومر شهران كانت الحرب الايطالية الحبشية قد بدأت فى خلالهما ، وفى الحادى والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٣٥ زار فرانسوا بونسيه سفير فرنسا فى برلين الهرهتلر مؤكداً أن فرنسا لا تريد الاحداق بألمانيا ولا أن تعزل ألمانيا عن العالم ، وأكد له أن الحلف الفرنسى الروسى جزءاً من الوقاية التى فرضتها لوكارنو ، ودعا ألمانيا إلى

الانضمام إلى هذا الحلف ... ولكن هتلر أغمض عينيه ، وأجاب بأن سلام أوروبا يمكن أن يقرر باتفاق بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، وهو لهذا لا يرى فائدة فى معاهدات أخرى تعقدها الدول الباقية ، ولم ينس هتلر أن يذكر بأن إيطاليا لن تحتمل العقوبات التى تريد العصبة توقيعها ، وأن هذه العقوبات ستسبب خسارة إيطاليا للحرب ، وكنتيجة لهذا فسيذهب موسولينى مع الهواء وستسقط الفاشية ، ولن يكون من صدى لهذا إلا أن تجىء الشيوعية إلى إيطاليا ...

وكان الحديث بلا نتيجة ...

وفى نهاية عام ١٩٣٥ سقطت وزارة لافال ، وجاءت الحكومة الجديدة وفيها بيير آتيين فلاندين وزيراً للخارجية ... وكان أمام الحكومة الجديدة أن تقدم الحلف الفرنسى — الروسى لمجلس النواب ؛ كما كان عليها أن تكمل محاولات لافال لاقتياد بريطانيا إلى جانب فرنسا فى صورة أقوى مما هى عليه ... كانت السياسة الجديدة فى البودقة ولكن كانت كل العلائم تدل على أنها لن تنضج .

فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٣٦ وافق مجلس النواب الفرنسى على الحلف الفرنسى — الروسى بأغلبية ٣٥٣ صوتا ضد ١٦٤ صوتا ، وتغيب ٢٢ عضواً عن الجلسة وتوقف ٤٧ نائبا عن إعطاء أصواتهم ، وحتى أن الكثيرين ممن أعطوا أصواتهم للحلف كانوا غير ميالين به ... وكانت الجلسة صاخبة فى صورة من الفوضى لم يعرفها مجلس النواب الفرنسى من قبل ...

ولاشك أن هتلر نفسه قد تساءل : هل يمكن أن تكون لمعاهدة قوبلت بمثل هذا التردد والجمود أية قيمة ؟ !!

على أن هذه المعاهدة من الجانب الفرنسى كانت لا تزيد عن تجديد للمعاهدات القديمة ، هذه المعاهدات التى يمكن أن يقال إن معاهدة لوكارنو كانت أهمها وأكبرها قيمة ، ولكن حكومة سارو فلاندين كانت تحاول إعادة الاتصال ببريطانيا ولو أدى هذا إلى إغضاب إيطاليا ... ولكن هذا التبدل فى السياسة الفرنسية جاء متأخراً ، فهو وإن وصل إلى نتائج فسيترك بدون شك ثغرة فى الاتفاقات التى تضعها فرنسا لوقاية حدودها .

ولكن كانت لاتزال هناك دعامة قوية هى « لوكارنو » .

والفكرة فى « لوكارنو » إنها ترغم ألمانيا على ترك خوض الرين غير مسلح ، فلا تقيم فيه تحصينات ولا تستخدمه إطلاقا لأغراض حربية ، ولا تكون لها فيه قوات عسكرية على الضفة اليسرى للنهر ولا على منطقة محددة فى الجانب الأيمن ، بل كان لفرنسا — عند الحاجة — أن تحتل بجيشها تلك المنطقة الألمانية المزدحمة بالسكان ، وقد ترك لها هذا الحق طليقا إلى درجة أنها كانت تستطيع أن تفعل ذلك حتى قبل أن تعبر القوات الألمانية معابر الرين الضيقة ، وأرض الرين تفتح الطريق أمام فرنسا للتقدم نحو حلفائها فى الشرق كما أن احتلالها لتلك الأرض يحرم ألمانيا من المناجم التى تزيد من مجهودها الحربى ولا شك ، ولهذا كانت فرنسا محقة فى اعتقادها أن بقاء أرض الرين غير مسلحة هى الحقيقة العسكرية الوحيدة فى كل معاهدات الأمن والسلامة التى تعقدها .

ولكن هذا السلاح كان يقوم على أساس معاهدة لوكارنو ، وهذه المعاهدة تضمنها كل من بريطانيا وإيطاليا اللتين أصبحتا عدوتين لدودتين ، بعد تفاقم مسألة الحبشة ، ورغم رغبة الدول الملحة فى إخفاء هذه العداوة فقد بقيت نار البغضاء ساطعة لاتغيب عن عينى هتلر .

فبدأ يعمل للتفاهم مع موسولينى ، وديكتاتور إيطاليا لا يعنيه الرين ولا تهمه لوكارنو ، فكل مايشغله هو الحبشة والبحر الأبيض المتوسط ... وهذه الحرب القائمة فى أفريقيا تستنزف دماءه . . . ، وانتهى هتلر إلى شىء ، فأمر صحافته بأن تهاجم الحلف الفرنسى — الروسى الذى أقره من قبل فى مذكرات سياسية تبادلها سفراؤه مع الدول التى يمثلونه فيها .

وبذلك لم يعد أمام هتلر شيئا آخر ليفكر فيه غير بريطانيا ، الشريكة الثالثة فى لوكارنو ، ولكن بريطانيا كانت مشغولة عنه بالحرب فى شرق أفريقيا ، وكان إيدن قد شد رحاله إلى جنيف حيث لقى فلاندين وظل معه يومين متتاليين (٢و٣ مارس ١٩٣٦) يتحدث إليه فيها عن مسألة حرمان إيطاليا من الوقود لمدرعاتها وسفنها وأسلحتها ، وفلاندين يستمع إليه بصبر عجيب ، ولا يحير جوابا شافيا .

وطلب فلاندين من إيدن ، فى مقابل حرمان إيطاليا من الوقود ، أن يعقد بين

فرنسا وبريطانيا اتفاقية عسكرية ليصحبها تفاهم بين هيئتى أركان الحرب فى الدولتين فلم يقل إيدن لا . . . وهو أيضا لم يقل نعم . . .

وبذلك فقدت فرنسا حماية حدودها الجنوبية الشرقية ، ولم تصل إلى معاونة بريطانيا . . . . فوجدت ثغرة وقتية فى دفاعات فرنسا السياسية ، وعرف هتلر فى الرابع من مارس بما طلبه فلا نداين من إيدن ، وعرف أيضا أن موافقة فرنسا على حرمان إيطاليا من الوقود معناها انتهاء المعاهدة الإيطالية الفرنسية . . . وإلى أبعد من هذا معناها انتهاء ضمان إيطاليا للوكارنو .

ولكن كان هنالك مشكل واحد لا يزال غامضا ومجهولا . . . ، وكأن الأيام كانت تسرع الخطى جاهدة لتوضح لهتلر ما كان غامضا مجهولا له .

فعاد إيدن إلى لندن من غده ، وفى العاشر من مارس عند ما عاد إلى جنيف لم تكن الوزارة البريطانية قد وصلت إلى قرار كامل فى مسألة الاتفاقية العسكرية مع فرنسا ، ولكن هذه الأيام الخمسة هى كل الفرصة التى كان يطلبها هتلر ليعمل . . .

وهكذا عند ما وقف هتلر فى الريشتاغ ليقول : « فى هذه الساعة التاريخية والقوات الألمانية فى الولايات الغربية تحتل محطات السلم للأيام المقبلة . . . . . . » علت ضجة عالية فى مجلس الريشستاغ ، ضجة لا يمكن أن توجد كلمة واحدة لوصفها .. فقد بقيت الهتافات مستمرة لعدة دقائق ، فلم يسمع الناس فى المذياع ماذا قال هتلر .. هتلر الذى كان يثق أن فرنسا لن تتقدم ولن تعلن الحرب .

ولكن ما كان هتلر قد أرسله لاحتلال الرين لم يكن جيشا ، كان كل ما أرسله إلى الرين تسع عشرة كتيبة من المشاة وثلاث عشرة بطارية من المدفعية ، بل وحتى هذه كانت تحتاج إلى عدة أيام لتستكمل حاجتها من الغذاء والوقود ... ، وفى اللحظة التى قال فيها هتلر جملته التى أثارت الضجة كانت كتيبتان فقط تسيران فوق الموزيل إلى ترير وساربروكن .

وساد العالم كله صمت عجيب ... وبقى هتلر وجورنج وجوبلز ليلتين كاملتين لا يغمض لهم جفن ... ، كانت إيطاليا قد نفضت يديها من لوكارنو ... ، وكانت بريطانيا مشغولة عن أى حلف مع فرنسا أو مع غيرها ، بل كان كل أولئك الذين وضعوا لوكارنو فى شغل شاغل عن أرض الرين ...

فهل تستطيع فرنسا أن تعمل وحدها ؟؟ .

وكان هذا هو السؤال الوحيد الذى ألقاه مسيو ألبيرليران على الوزارة الفرنسية عند ما اجتمعت بدعوة منه ، وقد أجاب وزير الدفاع الفرنسى بأن جيش فرنسا مستعد لحرب دفاعية وليس للهجوم على أحد ، وكانت نصيحة القادة الفرنسيين للوزراء هى ذات النصيحة التى تلقاها هتلر من قادته ... أى بعدم الحرب ...

ولكن هتلر ضرب بنصائح قادته عرض الحائط . . . أما الوزارة الفرنسية فلم تفعل .

وكان الاقتراع فى الوزارة الفرنسية ضد الحرب .

ومرت أسابيع فى احتجاجات ومفاوضات ... ، وأرسلت بريطانيا إلى حكومة برلين تطلب إيضاحا ولكن شيئا لم يصلها فى قالب إجابة ...

وكان كل ما عملته فرنسا أن بدأت فى إنشاء تحصينات جديدة على حدودها الشرقية ...، وبدأ العمل بطيئا ثم راح يتذايد مع الوقت .

وبعد عشرة أيام فقط بدت الحقيقة المروعة سافرة ... الحلف الفرنسى — الروسى لا شئ . . . والحلف مع تشيكوسلوفاكيا يفقد قوته . . . والروابط مع بولندة تتفتت ... والنمسا باتت فى عزلة . . . والسلامة الاجماعية خرافة لا وجود لها . . . كانت قارة أوروبا قد تمزقت . . .

وقد فعل هتلر هذا كله بكتيبتين من المشاة . . . .

دماء فى أسبانيا

باراجوس . . . تالافيرا . . . توليدو . . .

كلمات ثلاث تحمل كل منها معناها الذى تعرفه مدريد الحمراء . . .

كانت العاصفة قد انتقلت إلى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لأوربا، إلى أمة لم تعرف الاستقرار على الرغم من وجودها على هامش الحرب وعلى هامش حوادثها ، فواجهت حكومة مدريد الحمراء ثورة عنيفة على رأسها الجنرال فرانكو ، رجل له تاريخ وماض . . . وكانت الثورة فى هذه البلاد معناها الحرب الأهلية ، والحرب التى يعرفها الأسبانيون هى حرب قنبلة اليد والبندقية فى قتال تصادمى وسط الطرقات والأزقة ، وبين طبقات الدور . . . وهم لا يعرفون شيئا من تكتيكات المعركة فى القتال ضد الدبابات ومدافع الماكينة المصنوعة فى تورين ودريسدن .

واستطاعت ثورة الاتحاديين الوطنيين والفاشيست الأسبان ، أن تفاجىء حكومة مدريد على غير أهبة . فكان الثوار يملكون شيئا ويحتلون أرضا ، قبل أن تعبىء الحكومة جندها . . .

كان ذلك فى سبتمبر ١٩٣٦ ، وأقسم الجنرال فرانكو أن سيكون فى مدريد فى شهر اكتوبر ، وقرر الجنرال مولا فى زهو وخيلاء أنه سيحتسى قهوته فى مقهى « بويرنا ديل مول » فى قرابة الثانى عشر من اكتوبر . . . ولكن فردا لم يقدر التقلبات الجوية ، وتوقف القادة ينتظرون مددا جديدا لمتابعة الهجوم ، وجاء يوم ١٢ اكتوبر والجنرال مولا لا يزال على مسافة ثلاثين ميلا من مدريد ، ومن كوب القهوة التى وعد باحتسائها فيها . وهى مسافة قطعها فى شهور لا فى ساعات ولا فى أيام . ومع هذا ففى ذات اليوم اجتمع بعض الناس من أساطين حكومة مدريد عند مقهى «بويرنا ديل مول» ووضعوا منضدة فى الطريق العام ، ثم سكبوا القهوة فى الكوب وتركوا إلى جانبها ورقة قد خط فيها بأحرف طويلة « محجوز للجنرال مولا ! »

وبعد أيام قليلة تخطى القتال « نافا لكارنيرو » ومع ذلك ظل أمام المهاجمين أكثر من عشرون ميلا أخرى ليصلوا مدريد، وقالت باريس ولندن إن عاصمة الأسبان تعيش فى قلق ، ولكن الواقع أن المدينة كانت هادئة . . . هادئة بدرجة كبيرة ، كان أهلوها على أتم أهبة لقتال الشوارع ، لتصيد المهاجمين من النوافذ بكل ما يمكن أن يقال عنه قتال المفاجأة ، ولكنهم لا يعرفون شيئا عن الدفاع ضد الأسلحة الحديثة ، ولا داعى حتى (للضبط والربط) فإن حرب الشعب لا تتطلب هذا . . . وعلى أية حال فإن الحرب لا تزال بعيدة . . . وقصرت المسافة إلى عشرين ميلا . . . ثم إلى خمسة عشر ميلا . . . ومع هذا لا شىء . . . فالمسافة لا تزال بعيدة ، والحرب لم تصل بعد إلى الأبواب .

وكانت أوربا لا تزال تتحدث عن الدفاع المجيد فى « الكازار » الذى استمر ثلاثة وستين يوما ، وأى روح قوية كانت هذه الحكومة العزلاء تستطيع أن تمد بها حفنة من الرجال ، كونت منهم ميليشيا أهلية لاحتمال التجربة ضد قوات تعدها وتسلحها ألمانيا وإيطاليا ! !

وفى يوم الجمعة الأخير من شهر أكتوبر سقطت ست قنابل فى طرقات مدريد الرئيسية ، فجرح ستون شخصا وقتل ستة عشر ، وأفاقت مدريد من غفوتها ، وعند ما بدأ سيل اللاجئين يفدون إلى المدينة والرجال يجرون دوابهم التى تحمل متاعهم وأطفالهم . . . هبط على المدينة فجر قاتم لا حياة فيه . . . كان الجنود المراكشيون قد باتوا على مسافة من منتصف المدينة لا تزيد عن المسافة التى يقطعها راكب الترام بأجر لا يزيد عن القرشين ، وشهدت مدريد وراء الأفق البعيد قبعة حرس فرانكو الأهلى ذات الأركان الثلاثة . وقيل للناس إن الجنرال مولا يمتطى جوادا أبيض اللون سيظل على ظهره حتى يصل إلى المنضدة التى وعد بأن يحتسى عندها قهوته

كان هذا فى يوم الأربعاء . . . ولم يكن يوم الخميس بأحسن حالا . . . وفى السابعة والنصف مساء تركت سيارة سوداء مبنى وزارة الحرب فى مدريد مندفعة فى طريق فالانسيا . . . كان فى السيارة لارجو كاباليرو الاشتراكى رئيس وزراء أسبانيا . . . فكان هذا دليلا على أن الحكومة قد هاجرت من مدريد .

* * *

وجاء اليوم التالى .. كان يوما باردا مكفهرا ، وبدا كأن مدريد ستقاتل من وراء نوافذ الدور فقد كانت كلها مغلقة ، وإن كان فى استطاعة من يمر بالطرقات أن يرقب وراءها وجوها تتحرك .

ثم جاء صباح السبت .. ودعى الناس للخروج إلى الطرقات والوقوف فى الشرفات ، لم يدعهم أحد ... ولم تعلنهم الحكومة بهذا .. ولكنهم كانوا يسمعون صوت سير أقدام جنود مدربين فوق أرض الطرقات المرصوفة ، وكان الجنود يسيرون بخطوات منتظمة فى ثياب خاكية اللون ... وكان معهم ضباط ... ضباط من كل الرتب ... وكانوا جميعا يحملون البنادق وتجىء وراءهم السيارات الكبيرة تحمل الرشاشات الآلية والذخيرة ، وقد قوبل هؤلاء كلهم بترحاب ، بدا لأول وهلة فى الأعين التى كانت تحدق فى وجوههم مشدوهة من منظرهم الرائع ، ثم من القوة والعزيمة الواضحة فى وجوههم .. ، ولكن لم يلبث الناس أن تناسوا كل شىء إلا الفرح ، فقد جاءتهم نجدة للدفاع عن عاصمتهم الجميلة ، فراح الناس يصفقون ويهتفون لهم ، وأدرك الناس أنهم قد نجوا فى آخر لحظة من المهانة التى كانوا يتوقعونها بسقوط مدينتهم .

كان هؤلاء القادمون من جنود اللواء الدولى ، وقد جمعوا من المتطوعين ، وكلهم من أولئك الذين قاتلوا فى حروب سابقة قديمة ... وجاء هؤلاء معهم بأسلحة روسية وذخائر مصنوعة فى حوض الفولجا ومناطق الصناعة فى الأورال !!

وفى اليوم التالى قام المراكشيون بالهجوم ... وبدا لهم من نطاق النيران التى ووجهوا بها أن قوة جديدة قد جاءت إلى ميدان القتال ، وكانت دبابات الجنرال مولا على أتم أهبة للقيام بغزو هين ميسور ، والدخول إلى المدينة دون عناء ، ولكن هذا لم يكن ميسورا كما ظن مولا ، فقد اصطدم هجومه بالصخر وقدمت مدافع الروس ومدافع اللواء الدولى للجمهورية الاسبانية جرعة جديدة من شراب يصلح لإطالة الحياة .

ووقفت مدريد صامتة ثلاثين شهرا أخرى ... وقدمت مدريد لتاريخ العالم اسما جديدا يمكن إضافته إلى الأسماء الخالدة مع الدهر والتى بدأت بماراتون ... ، وحتى فى آخر لحظات مدريد كان لا يزال فيها من أبنائها من هم على أتم استعداد لمتابعة القتال .

على أن جد مدريد كان قد قرر فى جبهة الارجون وخارج برشلونة ، وبانتهاء المقاومة فى مدريد ضاع كل شئ . . وبسرعة أمكن احتلال جويرنيكا — بلباو — مالاجا — برشلونة ، كان ثقل الحديد والصلب هو الذى يقرر الأفضلية الحاسمة ...، وطال الصراع الجدلى الدامى . . ولكنه مع هذا جاء بالنهاية التى قررت انتصار قوة الوطنين العسكرية على مقاومة جمهورية الاتحاديين الحمر .

* * *

وفى صباح الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٣٦ وقف رجلان فى شرفة منزل قروى يطل على جبال الألب البافارية ، وراح الرجلان يحدقان عبر الحدود الألمانية فى أراضى النمسا المليئة بالغابات ، وقد بقى الرجلان مكانهما يتحدثان معا وفى وحدة تامة لثلاث ساعات متوالية .

وفى تلك الليلة ترك الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا منزل مضيفه قاصدا إلى مونيخ ، وهناك قابل وفدا من الصحفيين . . . وكان مجمل حديثه أن الفوهرر يقدر غزو إيطاليا للحبشة ، كما تحدث عن أن ألمانيا وإيطاليا تودان بكل إخلاص أن ينتصر فرانكو فى أسبانيا ...، ولا يجب أن تسبب النمسا أية صعاب فى الأمر .. كان شيانو لايفكر فى شيء ! ! . .

ونسى شيانو أن الهرهتلر والهرشيشونيغ كانا قد وقعا منذ ثلاثة شهور فقط ، اتفاقية نص فيها على الاعتراف باستقلال النمسا وتقدير ألمانيا لوجود هذا الاستقلال .

وهكذا ولد المحور ... محور روما — برلين — طوكيو . . .

ولد على تفاهم تام على الاغتصاب . . . ! وعلى ماتقول مدام تيبو « السرقة أو الحرب » ، وفى مدى عامين كانت جيوش دولتى المحور فى أوروبا وحليفتهما تعبأ وتجهز لإرهاب أوروبا كلها ونصف آسيا ، وفى أقل من عام كانت اليابان الشريكة الثالثة تشق بالقنابل والرصاص طريقها إلى الصين ، ولكن كل هذا لم يكن شيئا مذكورا . . . إذا أن كل شيء . . . يجب أن يبدأ بضربات المطرقة التى يقبض عليها الألمان . . . .

* * *

وصاح هتلر وهو يجلس على مقعده . . . « قلت لك احضر شيشونيغ للقائى في برنحستادن ، ثم اترك الباقى لى أنا ! . . . »

وأسرع الهرفون بابن إلى فينا ، والقلق يبدو واضحا فى عينيه ، فإن الفشل فى مثل هذه المهمة يكلفه ثمنا غاليا .

كان عليه أن يجادل وأن يلح ويلحف ، فإن شيشونيغ قلق والشك يملؤه ثم هو بعد هذا عنيد . . . واتصل المستشار النمسوى تليفونيا بموسولينى ، وكان الرد الذى حملته الأسلاك عبر الألب . . . « ياصديقى العزيز ! إن ثقتى كبيرة فى مواهبك السياسية ! ! » وبدا من هذه الإجابة اللاذعة أن العضد الذى بقى أربعة أعوام يسند ويدعم استقلال النمسا ، قد نفض يديه من الأمر ، فأحنى شيشونيغ رأسه فى إعياء للعاصفة ، ووافق على أن يذهب إلى برنحستادن على شرط أن لا يعلم أحد فى النمسا بهذا السفر ، فأجيب طلبه ، وظل سفره مجهولا من جميع الناس إلى أن عرفه أحد معاونى هتلر فى برنحستادن صبيحة الثانى عشر من فبراير عام ١٩٣٨ .

كان كورت فون شيشونيغ هادئا ، تحفظ له ثقافته العالية اتزانه ، وكان يحب النمسا ، تلك النمسا الهادئة بسبب إبقاء نصف أهلها فى الأغلال ؟ ! ولذلك استطاع أن يبقى توازن مقعده فوق الجواد ، فأبعد اشتراكى فينا وراء أسوإ المعتقلات ، واشتبك أنصاره من الفاشيين فى قتال مستمر . . . وظل النازيون وحدهم يقبضون على المفرقعات التى تكفى لإشعال الثورة .

وبعد عشر ساعات ترك شيشونيغ برنحستادن ، بعد أن سمع هتلر يصيح فى وجهه قائلا . « شعبى فى النمسا ! ، » وكان قد قابل الجنرال فون ريتشينو قائد جيش الاحتلال للنمسا ، فأطلعه على الخطط والخرائط التى أعدت لهذا الاحتلال .. فلا خطورة من أن يعلن بخطة العمل الذى يواجهه لانه لايملك قوة ، وهى خطة تكفى لتمزيق النمسا إلى قطع . . .

وهكذا عاد شيشونيغ إلى النمسا يحمل معه حكم الإعدام على بلده التى يحبها ، ولكن فى صورة « إنذار » .

* * *

وكان هناك سبيل واحد للفكاك من هذا كله ، هو أن يترك أمر وزارة الداخلية

فى النمسا إلى رجل من رجال النازى ، وذكر هتلر اسم الدكتور سايس انكوارت وقد أكد هتلر أنه لايعرف من الرجل غير اسمه ، وقد اعترض شيشونيغ فى البداية ثم اضطر إلى الرضوخ . . . ووافق على أن ينفذ هذا الأمر وبقيت الوزارة النمساوية ثلاثة أيام تبحث كل أوجه الأمر . . ، كانت القوات الألمانية تحتشد على الحدود ، ومع هذا لم يصل رد من روما ولم يتحرك موسولينى . . . . وعلى أية حال فإن سايس انكوارت و إن كان من حزب النازى إلا أنه كاثوليكى ثم هو ولا شك سيدافع عن استقلال النمسا . . . ثم إن شيشيونيغ — يعرفه شخصيا فقد كانا طلبة معا فى أيام الدراسة وإذن فلتتم إرادة الله .

وهكذا فى الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء وصلت الأنباء إلى برنحستادن أن الوزارة النمساوية قد قبلت جميع مطالب ألمانيا ، وفى الصباح التالى دعى سايس انكوارت ليقسم يمين الولاء للحكومة النمسوية . وقد أقسمه ، ثم بعد ساعات قليلة سافر إلى برلين ليتسلم أوامر حكومتها ! !

وفى الأسابيع الثلاثة التالية كان للنمسا حاكمان ، فنازيو سايس انكوارت يرعون الطرقات ومعهم قوة بوليس تكفى لإخضاع أى فرد يفكر فى التمرد أو الخروج على مبادىء النازى ثم إن وراء الحدود قوات ألمانية وافرة العدد والعدد .

وفى الجانب الآخر يقف شيشونيغ . . . ، له حكومة بلا قوة بوليس ، ثم إن فى الوزارة التى تحتكم بأمره من الخصوم مايكفون لاقلاقه . . . ، أجل ! كانت تنقصه الجرأة ، ولكن ماقيمتها إذا فرضنا وجودها أمام القوات التى تستطيع أن تفعل كل شىء ؟ !

على أن الرغبة فى الدفاع عن استقلال النمسا كانت قوية وسط الفلاحين فى الريف وفى فينا نفسها قوة ممثلة فى العمال ، ولكن زعماء هؤلاء العمال كانوا وراء جدران المطابق التى وضعهم فيها ديلفوس .

على أن الوقت كان متأخرا فقد مزق ديلفوس قوة النمسا بأمل الدفاع عن كيانها فى يوم ما من أربع سنوات ، وقد استطاع أن يحتفظ باستقلال النمسا ولكنه استقلال يستند إلى حراب أجنبية ، وأربع سنوات فترة لا تكفى لاصلاح كل شىء . . .

وفى الأسابيع التالية بقيت كلمة « هايل شيشونيغ » تسمع فى الطرقات ولكن ماقيمة الكلام فى دنيا المدفع والطائرة ! ! . .

فى يوم ٩ مارس ذهب البطل الجديد إلى انسبروك ووقف عشرون ألف نمسوى خارج مكان الاجتماع يقسمون على الدفاع عن استقلال بلدهم ، وفى صوت جهورى ملىء بالجراة ألقى شيشونيغ القنبلة قائلا : « إن النمسا يجب أن تعلن فى تصويت عام رغبتها فى الاستقلال ليسمع العالم كله حقيقة الأمر ! » .

وبدا البشر على الوجوه فى فينا ، ولكن كان هذا كله إلى حين ، كانت لحظة رهيبة ، أعطت النازيين فرصة إسقاط المطرقة ، فى يوم الجمعة هـذا بينما كان الهرفون ريبنتروب يتناول غذاءه فى داوننج ستريت ١٠ بلندن.. وبينما كان موسوليني ينزلق على الجليد فى الألب.. وبينما كانت باريس فى غمرة مشكلة وزارية حادة، وبينما كانت الروسيا آخذة فى عمليات التطهير، وبينما كان باقى أوروبا كله يتلفت حوله لايعرف ماذا يحدث إذ سقطت المطرقة على النمسا بسرعة مخيفة ، ووصل فينا إنذار ان شديدا اللهجة

إن التصويت يجب أن يوقف . . .

وإن شيشونيغ يجب أن يذهب . . .

وفى السابعة من مساء ذلك اليوم وقف شيشونيغ أمام المذياع يعلن إلى العالم بأسره بأنه لانقاذ الدماء البريئة قد سلم للقوة، وبينا كان الناس يسمعون صوته المتهدج وهو يقول « ليحفظ الله النمسا » كانت القوات الألمانية تندفع متخطية الحدود لاحتلال أرض النمسا ، والهرهتلر فى طريقه إلى العاصمة بالطائرة ! !

وفى الأيام التالية كانت مقصلة الجستابو لاتعرف طعما للراحة ، وأحست النمسا بالفرق بين يد ديكتاتور صغير وقبضه ديكتاتور طاغية ، فهرع الآمنون إلى الفرار وولوا وجوههم شطر الغابات والجبال ، ووصل هتلر إلى وطنه وهو ثائر غاضب ، وقد أنبىء بأن نصف دباباته قد عطلت فى الطرقات ، بفعل المدنيين العزل من كل سلاح .

وبذلك ضاعت النمسا من الوجود . . ، وباتت فرساى أنقاضا محطمة ، كان النازيون قد دقوا إسفينا قويا فى جنب البلقان ، وضاع نصف آمال فرنسا فى حلف لها فى وسط أوروبا ، وحتى إيطاليا قد شعرت بقوة الضربة . . . ، ولم يبدو بوضوح أترضى بأن تكون الشريك الأصغر فى المحور . . . أم لا . . .

وتحقق السياسيون فى أوروبا كلها بأن التوازن الدولى قد اختل فى ليلة واحدة ، وبينا كان البعض يفكرون بقلق فى المستقبل حاول البعض الآخر الفرار من الحاضر بأن يغمضوا أعينهم عن الحقيقة الواقعة وفى اليوم التالى أضيف مئات الألوف إلى تعداد أولئك الذين يعيشون فى أوروبا ولا كيان سياسى لهم ، لأنه لاوطن لهم . . .

« ولكن إلى متى يمكن أن يحتمل هذا ؟ !

كان كل فرد يسأل نفسه هذا السؤال ، ولا إجابة عليه » ، وفى ذلك اليوم بعث هتلر إلى موسوليني ببرقية يقول فيها « لن أنسى لك هذا ! . . . » ، وفى نفس اليوم بعث المارشال جورنج فاستدعى سفير تشيكوسلوفاكيا فى برلين للقائه ، ثم أكد له أن لاداعى لأى قلق ، لأن استقلال تشيكوسلوفاكيا قد ضمنه الفوهرر ! ! ! . .

فكانت هذه بدورها أضحوكة قيدت فى سجل التاريخ .

مأساة ميونخ . . .

«قصة سياسة تدمير الأمم الصغرى
لتجنب كارثة لم تلبث أن وقعت»

نحن الآن — فى فبراير عام ١٩٣٨ فى بداية مرحلة من أدق وأعقد المراحل فى تاريخ العالم كله، مرحلة استمرت فيها السيطرة للقوة وللعنف وللتهديد.. ، وكان لزاما أن يكون لهذا كله نهاية واحدة هى مقابلة القوة بالقوة . . . ، فكانت الحرب ولكنها جاءت متأخرة .

نحن الآن فى يوم السبت الثانى عشر من فبراير عام ١٩٣٨ . ، وفى هذا اليوم كسبت ألمانيا الجولات الأولى من حرب عالمية لم تكن قد أعلنت بعد . . ، فقد أملت على العالم فى برختسادن معاهدة سلم جعلت من معاهدة فرساى سجلا يمكن أن يظل مذكورا فى تاريخ البشرية ولكن لاقيمة له من الناحية العملية . . .

فى هذا اليوم نفسه بدأت النازية تتحرك طليقة فى كل أوروبا شرق الرين ، وكان هذا لأن العالم الديمقراطى قد نسى مشاكله ونفض يديه من عهوده ، ثم أحنى رأسه فى خضوع ، لاأمام القوة ، وإنما بسبب ما هو فيه من ضعف مخيف . . . .

فماذا حدث ؟ ! !

فى الرابع من فبراير خط هتلر أول سطر من الثورة التى اجتاحت كل شىء ، فقد طرد رئيس هيئة أركان حربه وأربعة عشر جنرالا من الجيش العامل ، ثم أعاد تنظيم الجيش الألمانى وحشد قواته تجاه كوفستين وسالزبورج فى الآلب وتجاه باساو على الدانوب ، ثم بعث إلى شيشونيغ ليحضر ، فلما حضر قابله وقد وقف وراءه القادة الألمان فى عدة القتال .

وأحنى شيشونيغ رأسه للعاصفة التى كان يعرفها ، لأنها كانت قصة معادة لما حدث فى ألمانيا نفسها مرة من قبل عام ١٩٣٣ ، يوم أن يوجه هتلر إنذارا أنال النازيين بعض مقاعد الحكم فى ألمانيا ، ولكن شيشونيغ وإن كانت لديه أفضلية

تكن فى جانب الديمقراطيين الألمان ذلك أنه كان على رأس حكومة منظمة وبها سلطان ولها وجود إلا أنه لم يكن ليستطع فى الواقع الانتفاع من هذا الكيان ، لأن أمة تسندها حراب الدول الأخرى لا يلبث الأجنبى أن يجد طريقا إلى السيطرة عليها .

وهكذا عند ما تحدث هتلر عما أسماه من قبل فى كتابه « كفاحى » أنه « معركته » ، ردد ما كان قد قاله بأن الاستفتاء الذى يريد شيشونيغ القيام به ليس إلا تصويت غير دستورى أسوة بما حدث لدستور ويمر من قبل . . . ، وأن النمسا فى حاجة إلى الهدوء ولو أدى هذا إلى إرهاب يهود فينا ، أو استبدال أولئك الذين فى معسكرات الاعتقال من النمسويين بعدد مماثل على الأقل من خصوم النازية ، وما فى هذا إيلام لأحد ! ! . . لأن الناس يجب أن يكونوا سواسية حتى فى احتمال الآلام ، وفى إظهار عوامل الشفقة متسع لكل فرد ! ...

وتساءل الناس : ولكن لماذا يريد هتلر ضم النمسا إلى ألمانيا ؟ ؟ كان بعض الناس لازالوا يذكرون مقالا نشرته مجلة السياسة الجغرافية من قلم هوز هوفر الألمانى فى نوفمبر عام ١٩٣٤ وفيه يقول : (بأن النمسا فى مركز خطر من الناحية العسكرية فإن حدودها مجردة من التحصينات ، ولا تصلح لإعداد المناطق الدفاعية لتمنع مهاجمة جيرانها لها . . . ثم إنها بسبب هذا الضعف لتهدد بأن تكون مكان المعركة للحرب العالمية القادمة) . . .

ولكن مع هذا . . . كان بعض الناس يتساءلون عن السبب . . ، هل للمواد الخام طبعيا لا ... لأن النمسا لاتملك شيئا من المواد الخام ، هل لزيادة رخاء الشعب الألمانى . . . بلا شك . . . لا ، لأن النمسا كانت أمة فقيرة كثيرة المشاكل ... ، ولكن الواقع أن السبب كان من الناحية الاستراتيجية عظيما لأن النمسا هى مفتاح وسط أوروبا ، واحتلال النمسا كان يمكن من الإحاطة بتشيكوسلوفاكيا ، وباحتلال النمسا تبيت حقول الغلال فى المجر وآبار الزيت فى رومانيا مفتوحة فى وجه الألمان .... ، فقط يجب أن يقدر أن أمة واحدة يمكن أن تقاتل لأنها تستطيع القتال . . . ولأنها تريد القتال . . ، هذه الدولة هى تشيكوسلوفاكيا . . . ، تشيكوسلوفاكيا الدولة التى صورت لها مصورة وزعت على الألمان وقد خط أسفلها .

« الدولة الصغيرة التى تهدد ألمانيا الكبرى »

ورسمت فيها خطوط سوداء تخرج من حدود تشيكوسلوفاكيا إلى مدى ٥٥٠ ميلا — مرمى قاذفات القنابل المتوسطة — فغطت هذه الخطوط ألمانيا كلها ... ، فإذا كانت النمسا قد فقدت استقلالها بلا دماء فى رأى الناس فإن تشيكوسلوفاكيا لن تكون كذلك . . . ، ويجب أن يعد من البداهة أن المسألة إما أن تتحول إلى أسبانيا أخرى وإما أن تقود إلى حرب عالمية جامعة . . . . .

وفى هذه المرة أيضا يجب أن تلعب السياسة دورها إلى جانب الاستراتيجية بسرعة وبحكمة .. ، ذلك لأن المسألة قد تحولت إلى خطوة جريئة هى العمل لأن يحكم ثمانون مليونا من الألمان أمما أخرى يعيش فيها ثمانون مليونا. من البشر هم التشك والسلاف والمجريون واليهود والصربيون والبولنديون ثم الكرواتيون .. ، وبذلك يمكن أن يرفع علم النازية ذو الصليب المعقوف فى شرق أوروبا كلها مواجها العلم الروسى الأحمر حادا من أطماعه ، على أن رجلا آخر أوفى عقلا من هتلر كان فى مثل موقفه ولكنه لم يفكر فى حوض الدانوب قط . . .

هذا الرجل هو بسمارك .... الرجل الذى وضع أسس ألمانيا الحديثة .

* * *

على أن مأساة النمسا أظهرت للناس رجلا آخر كأبطال القرون الوسطى ، رجل لايلبس درعا من الصلب . . ولايحمل فاسا من حديد . . ، بل رجل فى ثياب أكثر إناقة من الدمى التى توضع فى واجهات حوانيت باريس ونيويورك .

هذا الرجل هو أنتونى إيدن . . .

وقد ذكر الناس أنه عند ما نقل إلى البشر أن البطولة قد ماتت فى أوروبا قام أمير مجهول من الناس هو دون جون النمسوى يسير وحده للدفاع عن روح المسيحية فتبعه الناس لأن بقية من الإيمان بحقوق البشر كانت لاتزال فيهم . .

ولكن عند ما وقف أنتونى إيدن وحده قفذت القلوب لحديثه وتضافرت الأيدى . . ، كان التاريخ نفسه هو الذى يتحدث عند ماوقف إيدن يقول « إن هذا ليس ميلا إلى السلم بل تسليما للسرقة والاغتصاب » .

ولكن فردا واحدا لم يكن معه اللهم إلا اللورد كرانبورن وكيله فى إدارة الشئون الخارجية . . ، فقد تغلبت الأصوات وهى أصوات تجار المدن والمساومين وأصحاب الحوانيت أولئك الذين يستند إليهم تشمبرلين ... ، وتشمبرلين فى الستين وإيدن فى الأربعين .

كان إيدن ضابط فى القوات الاحتياطية برتبة كبتن — تطوع للخدمة فى السابعة عشر — فهو إذن لم يكن شابا لأن الحرب العالمية الأولى التهمت شبابه ، ثم أنه فقد أخاه فى تلك الحرب ، ولا زال إيدن صالحاً للقتال بعكس تشمبرلين ، والجيل الذى منه إيدن يمكن أن يحضر الحرب فى أية لحظة فى مدى حقبتين من السنين ولكن تشمبرلين سيموت .

وعند ماوقف إيدن ليقول « إن الحرية ستموت فى العالم لعدد لاحصر له من السنين مالم يخاطر الناس على أن يخاطروا الآن وليس فى الغد» كان الدهماء يصيحون فى طرقات فينا « هايل هتلر وليسقط اليهود » .

واهتزت فى براج آخر حكومة برلمانية فى وسط أوروبا ، ولكنها أعلنت برغم الموقف الخطر الذى تعيش فيه أنها ستقاتل قبل أن تسلم فقد قال إدوارد بنيش منذ عام قبل ذلك « إن الحرية ليست من نصيب أولئك الذين لايموتون من أجلها » ، وإذا قاتلت تشيكو سلوفاكيا فإن هذا معناه الحرب . . .

وكان هتلر وموسولينى يملكان مالا تملكه فرنسا وبريطانيا . . . ، هذا الشىء هو التصوير السياسى ، فقد كانا يعرفان ماذا سيحدث فى بريطانيا عند ما انتصر تشمبرلين على أساس سياسة الواقع « لاسياسة المنطق » .

* * *

ولكن هل كانت مشكلة الأقليات الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا . . . والجموع التى تتحدث الألمانية وتدين بالنازية فى النمسا مشكلة حديثة جاءت وحدها فى عام ١٩٣٨ أو قبل هذا بقليل ؟!! ، الواقع أن هذا قديم أملاه الجنرال كارل هوزهوفر على هتلر عند ما كان سجينا فى قلعة لمبرج يخط كتابه « كفاحى » ، ذلك لأن شيئا من هذه الأرض لم يكن ألمانيا أصلا ... ، وإنما الفكرة هى سيطرة ألمانيا على وسط أوروبا سيطرة فيها نوع من الوقاية الهجومية . .

والواقع أن الفكرة نشأت عن تقوية الأرض التى يقال لها آسيا الأوروبية Eurasia مع ضمان إنشاء ووقاية الطرق التى تسير من ألمانيا إلى الروسيا ، مثل هذه الطرق موجودة فى الأرض التى تسمى جغرافيا وسط أوروبا .

ويقول جوهانيس كوهن فى كتابه Uber den Sinn des gegenwartiges Kriegs فى الحديث عن هذا :

« إن النطاق من الشعوب بين فنلندة واليونان يعتبرون أهل الحد الشرقى لأوروبا وكل هؤلاء الناس يقيمون فى دائرة نفوذ قانون السياسة الجغرافية الأوروبية ، وهم وإن كانوا يعيشون فى ظل الجنس والفكر الأوروبى إلا أنهم ليسوا من نباته ، ثم إنه تبعا لضغط آسيا الأوروبية للغرب فى ذات الاتجاه الذى تضغط فيه الامبراطورية العثمانية تركت مصورة أوروبا فى عام ١٨١٥ شعوب هذا النطاق كله دون أى أثر للاستقلال لأنها وزعتهم بين تركيا والنمسا والمجر والروسيا .

على أن هذا التصور الجديد القائم على أساس الجنسية لم يؤثر فقط فى شعوب النطاق الشرقى ، بل كان سلاحا فى يد الدول الكبرى يعاونها فى ضغطها من الأمام والخلف ، والصفة الإقليمية لهذه الضغوط قد بدأت تتحول إلى صراع له قيمته الروحية والاقتصادية ، كما أن له قيادته السياسية للشعوب الجديدة ، ومن أجل هذا انقسم البلقان تبعا للجنس قبل الحرب العالمية الأولى . . . ثم إن مسار الحرب نفسها وسقوط الروسيا قد نظما من التطور التام لاستخدام « عمل الجنس » كسلاح تستخدمه دول الوسط للنفوذ نحو الشرق » .

« وليس للدول الغربية أية مصالح فى منطقة شرق أوروبا ، لكن حالة ألمانيا من هذه الناحية تختلف تماما ، فمنذ أن كونت ألمانيا الكبرى فإن العداء النمسوى البروسى قد ترك جانبا ، إذ تقف تجاه شعوب النطاق الشرقى امبراطورية عظيمة لا تقصد ابتلاع هذه الشعوب بل أن توجد معها نظاما اقتصاديا سياسيا جديدا » .

والعلاقات الاقتصادية بين ألمانيا وهذه الشعوب طبعية ، ولا يمكن أن تقطع أو تعطل إلا بفعل سياسة الدول الأجنبية عن هذه المنطقة ، والاستقلال السياسى لكل الأمم التى فى هذا التنظيم الجديد ليس فقط ممكن بل إنه طبعى ، وإذا جاء

وقت أرغمت فيه ألمانيا على أن تقرر لوقت ما اتخاذ تدابير شديدة للسيطرة على جيرانها

التشك والبولنديين بسبب تكرار عدائهما لألمانيا . فلا حاجة تضطرها إلى هذا بالنسبة لباقى الشعوب فى شرق أوروبا . . . فهلا تكون هذه العلاقات الطبعية النافعة المليئة بالتعاون متبادلة ؟ وهل لا يعمل أهل هذه الشعوب الشرقية على تأكيد مثل هذه العلاقة مع الريخ » .

والكثير من هذه الأرض ، قد ضم إلى النمسا بعد عام ١٨٦٦ استولت عليه بعد قرون فى قتال مستمر وأخذته من السلاف ومن المهاجرين الذين ليسوا من أصل ألمانى ، ولهذا فإن مطامع ألمانيا فى تلك المنطقة لم تكن واضحة قط ، ولكن لم يلبث أن بدا بوضوح أن الحاجة للدفاع عن ألمانيا من المغيرين عليها قد حولت منذ بعيد إلى تدابير هجومية دائمة ، ذلك لأنه لم يكن من الممكن فى هذه السهول الفسيحة فى وسط أوروبا الشرقى إعداد حاجز طبعى يمكن من الحد من الاتساع بخلق خط يسهل الدفاع عنه ، وتبعا لأن التحركات العسكرية تفسح الطريق تدريجيا للنقل التجارى ، فإن وسط أوروبا قد تحول إلى شبكة من الطرق تربط بين غرب وشرق أوروبا ، وبين غرب أوروبا والشرق الأدنى وبين البلطيق وشرق البحر الأبيض المتوسط ، والسيطرة على هذه الطرق لا يمكن تقدير قيمتها بالنسبة لأية دولة تجارية أوروبية . وأخيرا فإن نهوض المدن الألمانية الصناعية قد صحبه إيجاد سوق لها ، كما أنه مكنها من أن توجد لها موارد من الأغذية فى سهول وسط أوروبا . . .

«وهذا الموقف يوضح الخط الذى تواجهه ألمانيا من الإحاطة بها سياسيا . كما أن هذه الإحاطة تعرضها للجوع الاقتصادى وللهجوم من كل الاتجاهات[١] .

وعدم وجود أى حاجز طبعى على الحدود الشرقية للأمة الألمانية قد جعلها (أرض لا درع فى ظهرها تستند إليه) ، ومعنى هذا أنها لا تستطيع أن تغمض عينيها عن الحوادث السياسية فى البلدان المجاورة ، وقد تركت الحرب العالمية الأولى وسط أوروبا مقسما إلى دول صغرى قليلة عدد السكان ، وحدات مفككة لا يمكن أن تنظم بينها وحدة تجارية ولا أن توجد بينها عصبية سياسية .

ويقول علماء السياسة الجغرافية فى هذا إن مثل هذه المنطقة لا يمكن أن تستقر

---

(١) صفحة ٣٠١ كتاب Geopol itik und Staatebtrgerlicbe Bilduvg للوتينساك هيرمان :

على أساس مجموعة من الدول الصغرى لأن توزع الأجناس لا يمكن من أن ترسم الحدود السياسية بحيث تتبع مناطق إقامة الأجناس والشعوب ، ولهذا فإن مثل هذه الدول يجب أن تضم إلى الدول الكبرى التى تجاورها لتعيش فيها كمجموعة متحدة . لا كدول فى داخل دولة . . .

وعلى هذا التقدير كتب كارل هوز هوفر فى عام ١٩٣٣ يوضح هذه النظرية[١] ، ثم عقب على هذا الايضاح بأن اتجاه ألمانيا إلى الشرق هو الوسيلة الوحيدة لضمان حصولها على تموينها الغذائى ، ثم إن وسط أوروبا لكى يوازن بين صادراته وارداته يجب أن يبحث عن المستهلكين فى الجموع التى تقطن لغرب الروسيا فى نطاق من الأرض تقيم فيه شعوب الأمم الآتية من الشمال للجنوب : السويد ـ فنلندا ـ استونيا ـ لتوانيا ـ بولندة ـ تشيكوسلوفاكيا ـ يوجوسلافيا ـ رومانيا . وهذا الحديث يوضح لنا بجلاء سير أطماع ألمانيا ووجهة النظر الأساسية فى اتجاهها للشرق .

* * *

والآن هل يحق لنا أن نعود ثانية لنقف قليلا متمهلين بإزاء «سياسة الواقع» ، فلو تابعت بريطانيا سياسة الاحتفاظ بوحدة بريطانيا وسلامة مواصلاتها بين مختلف أجزاء الامبراطورية . فأى اعتراض منطقى يمكن أن تقف معه ضد سيطرة النازى والفاشيست فى أسبانيا ، وأية قوة لديها يمكن أن تدعم بها هذا الاعتراض .

وأية قوة لها تمكن من الاعتراض على سيطرة اليابان فى آسيا سيما بعد أن أعلن هتلر وموسولينى تأييدهما لهذا الغزو فى الشرق الأقصى .

ثم أية قوة لها تمكن من الوقوف فى وجه أطماع ألمانيا وإيطاليا واليابان فى أمريكا الجنوبية . فإذا انتقلنا إلى ناحية أخرى من الحديث . . . فإننا نجد أن المنطقة لشرق الرين ستسيطر عليها ألمانيا اقتصاديا ، ولن تستطيع أية أمة أن تتجر مع أمم هذه المنطقة بدرجة لها قيمتها المالية . وبالاضافة إلى هذا فإنها تبعا لحصول الألمان على المواد الخام التى فى تلك المنطقة سيستطيعون أن يزيدوا من تدخلهم فى التجارة العالمية سيما إذا قدرنا البرنامج الألمانى للتخزين لمواجهة قانون العرض والطلب . . .

---

(١) صفحة ٤٠ من كتاب Der nationalsozialistische Gedanke in der Wvlt

عند ما جنت أمريكا

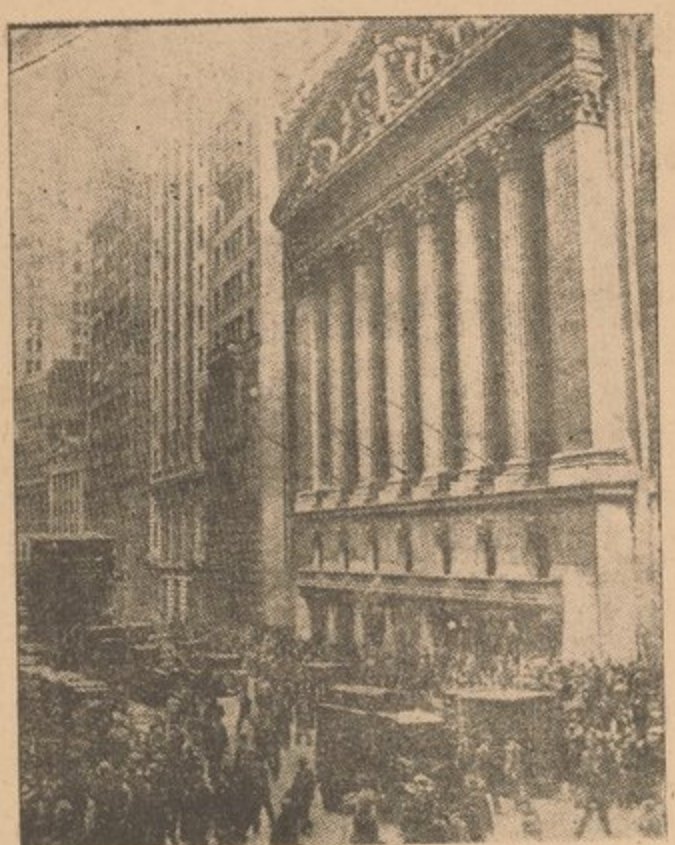

إحدى مناظر الاضطراب والتزاحم خارج دار البورصة
فى نيويورك — اكتوبر ١٩٣٩

فإذا اتجهنا إلى الشرق نجد أن اليابان تبعا لسيطرتها على موارد المواد الخام فى الصين وتبعا لاستنادها إلى قوة صناعية هائلة . فإنها بالتبعية ستزيد من تدخلها فى التجارة العالمية ، كما ستمنع فى ذات الوقت باقى الدول من الاتجار مع الصين كما فعلت عند احتلالها لمنشوكو .

فإذا اتجهنا إلى أفريقيا نجد أن التجارة العالمية ولا شك تتأثر لو استعادت ألمانيا مستعمراتها فى أفريقيا ، ولو قدرنا مناطق النفوذ التجارى هذه التى ستقتطع من دائرة الاتجار العالمى نجد أن المناطق الطليقة الباقية سيكون التنافس فيها قويا .

والأمر الأهم من هذا كله... هو الصراع العنيف الذى يقوم بين وجهات النظر، والحرب فى العصور الحديثة هى حرب آراء ومعتقدات قبل أن تكون تراشق بين المدافع . . . فهل يمكن التفاهم مع أمم معتدية مسلحة تستند كل تحركاتها البرقية إلى الدعاية كسلاح قوى حاد مدبب الطرف ؟!!

الواقع لا . . .

إذا هل كان المنطق فى جانب إيدن . . . أو تشمبرلين ؟ ؟

* * *

على أن الأمر كان يتطور بسرعة ، ففى الثالث عشر من مارس ضمت أراضى النمسا إلى ألمانيا الكبرى ، وفى السادس عشر من ابريل وقعت إيطاليا وبريطانيا اتفاقية ودية بأن تسحب إيطاليا قواتها المسلحة من أسبانيا .

وقد يقال وأية صلة بين الأمرين ؟!... الواقع أن حكومة تشيمبرلين كانت فى حاجة إلى شىء تشغل به رجل الشارع . . . وهى تعلم أنه يفكر فى جبل طارق كما يفكر بميدان ترافلجار فى قلب لندن . . . وسحب الجنود الايطاليين من أسبانيا يمكن أن يبعد آخر ظلال توجد شيئا من الخوف على جبل طارق . . .

ولكن محور روما — برلين كان أبعد مطامعا وأكثر إدراكا إلى أن قلب أوروبا يجب أن ينظم أولا قبل التفكير فى أطرافها . . . وكان الانتهاء من مشكلة النمسا حافزا للبحث عن حل مشكلة مماثلة ، هى مشكلة السوديت الألمان فى تشيكوسلوفاكيا من جهة . . . ومشكلة المنطقة المحصنة على حدود تشيكوسلوفاكيا والتى تصلح للدفاع صلاحيتها لأن تكون قاعدة للهجوم الجوى على قلب ألمانيا . . . ثم بعد هذا كله مصانع سكودا للأسلحة والذخائر ... وما تستند إليه من المواد الخام.

ومرة أخرى تبدأ مسرحية الأقليات الألمانية المظلومة تعرض أمام النظارة ، ومرة أخرى تجىء الوفود إلى برلين فيمد هتلر يده بالتحية النازية ثم يقف محاطا بقادة الجند ليقول : « إننى ما نسيتكم ولن أنساكم . . . » ولو أفاض لهتلر لتحدث كثيرا . . . ولكن الأمر لله . . .

ولكن هل يمكن هذه المرة أيضا أن تنحنى بريطانيا لتتجنب العاصفة . . . وهل تفعل فرنسا فعلها ..؟ وتشيكوسلوفاكيا هى الدعامة الباقية فى وسط أوروبا كعضد لفرنسا ، إذا فليجس النبض فى صورة غير رسمية . . .

فى العشرين من مايو قدم مسيو هوزا رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا إلى البرلمان التشكى تشريعا يظن أنه يمكن من تعبيد الطريق لإيجاد حل لشكايات الأقليات الألمانية، وفى نفس الوقت كان كونارود هنيلين زعيم السوديت الألمان يزور لندن بفكرة أن تتدخل بريطانيا لإرغام الحكومة التشكية على أن تمد يدها بأكثر مما تستطيع .

ولا يمكن القول بأنه لم يكن موفقا إلى غاية ما تعنى هذه الكلمة من معنى . . . فإن الحكومة البريطانية كانت قد بعثت إلى براج تحث التشك على التسامح إلى أقصى ما يمكن . . . وما أجمل الألفاظ التى يمتلىء بها قاموس السياسة . . .

على أن هذا الحث كان يحمل تهديدا مستورا . فإذا لم تتقدم الحكومة التشكية من جانبها بما يمكن أن يرضى هنيلين ، فإن الحكومة البريطانية تغسل يديها مما يمكن أن ينتج . . ، ولم يكن فردا حتى ولا فى بريطانيا نفسها يستطيع أن يقدر ما يمكن أن يحدث .

وكانت أبرز شخصية فى المشكلة هى شخصية اللورد رانسيمان مبعوث مستر تشمبرلين إلى براج .

على أن الموقف الذى تقفه حكومة تشمبرلين كان بلا شك عاصفا بالنسبة للرأى العام فى العالم كله ، فإن ما يطلبه هنيلين إنما يعنى انتحار حكومة تشيكوسلوفاكيا فى سبيل السلم الأوروبى ، وسياسة حكومة تشمبرلين إنما تتجه إلى تحميل الحكومة التشكية مسئولية ما يمكن أن ينتهى عن رفضها هذا الانتحار . . ، كانت أوروبا إذ ذاك تجتاز مرحلة سياسية يسيطر فيها الديكتاتوريون على كل شىء ، ولكن التشك أمة حرة . . ، والقانون الذى يقدمه مسيو هوزا سيعرض على برلمان به

ثلاثمائة عضو فيهم اثنان وسبعون ألمانيا ليس لهنيلين بينهم إلا أربعة وأربعون . . . وإن كان بعض هؤلاء فى الواقع لم ينضموا إليه إلا صدى للإرهاب الذى حدث فى النمسا بعد ضمها لألمانيا . . .

كان أولئك يعملون للمستقبل القريب . . . وكانت حكومة تشمبرلين مثلهم تفكر دائما فى هذا المستقبل القريب . . .

على أن تشيكوسلوفا كيا نفسها كانت أمة بها الكثير من الأقليات ، ولم تكن بهذا فى صورة شاذة أو وضع غير واضح بل كانت أسوة بباقى الأمم التى فى حوض الدانوب حيث تختلط الأقليات ، وفى تشيكوسلوفا كيا كان أولئك الذين يتحدثون بالألمانية والذين عاشوا فى بوهيميا القديمة كما كان الكثير من المجريين وأهل ريتوانيا — وقليل من الروس الذين باتوا جزءا من بولندة .

وقد عمل الرئيس ما زاريك — وربما كان هو أقدر سياسى عاش فى أوروبا بعد الحرب — من البداية للحد من سيادة السلاف ثم للتسامح لأرضاء الألمان وكل هذا بفكرة ضرورة تنسيق حياة مختلف الجنسيات على قاعدة حرة . . . ، وبذلك يمكن القول أن الأقليات الألمانية فى تشيكوسلوفا كيا كانت تعامل فى صورة أحسن مما يمكن أن تعامل به هذه الأقليات فى أي من الدول التى تحتل أرض وسط أوروبا .. بل وأكثر بكثير مما كانت تعامل به الأقليات الألمانية فى إيطاليا...

وقد رسمت حدود تشيكوسلوفا كيا لتضم هذا الجزء من أهل بوهيميا الألمان كما رسمت حدود إيطاليا لتضم أهل التيرول الجنوبى الألمان ، فهذه حدود تاريخية ، والجبال تعطى حدودا طبيعية هى فى الواقع وسيلة من وسائل الدفاع الطبيعية ، ثم أن أولئك الألمان لم يكونوا يوما ما جزءا من الريخ بل كانوا تابعين لبوهيميا التى كانت قبل الحرب العالمية الأولى جزءا من امبراطورية النمسا والمجر ، والتى كانت إذ ذاك تضم شعوبا مختلفة من السلاف والألمان ...

وإذا كانت الفكرة هى توحيد كل الشعوب الألمانية فى داخل الريخ فمعنى هذا أنه يجب أن يضم أهل التيرول الجنوبى إلى ألمانيا — وإذا كان من الضرورى أن يدافع موسولينى عن الحدود عند برينر فان الرئيس بنيش يجب أن يدافع عن الحدود البوهيمية .

ولهذا كان ما يطلبه كونارد هينيلين من الدول الديمقراطية معاونته لإدراكه كان عجيبا لأنه يتطلب تعديل الدستور التشكى ما دام من غير الممكن أن يتغير ادوارد بينيس أو المسيو هودتزا رئيس الوزراء ليكون ديكتاتورا .

وتشيكوسلوفا كيا كأمة دستورية فيها برلمان لا يمكن أن تتوفر فيها أغلبية الثلاثة أخماس التى ترضى بتعديل الدستور والتى تنزل عن الحدود الوحيدة التى تصلح للدفاع من أجل صالح أقلية تقل عن ربع تعداد السكان . . ويقل ممثلوها عن سبع عدد النواب .

ثم إنه لا يمكن الاقتناع بأن تعمل من هؤلاء السوديت دولة ألمانية فى داخل تشيكوسلوفا كيا وإلا كان هذا قصة أخرى لحصان طروادة تعاد من جديد ...

ولكن هناك أقليات أخرى فى تشيكوسلوفا كيا يحق أن يكون لها بدورها مطالب .. ، فهل معنى هذا أن تضم كل هذه الأقليات إلى الدول التى ترجع بأصولها إليها ... بالطبع لا ، وإذا كانت تشيكوسلوفا كيا ليست مستعدة لأن تنزل عن هذه الأرض أو تمنح هذه الحقوق طائعة مختارة ، فهل ينتهى الأمر إلى استخدام العنف والقوة ؟ .

وإذا كان هذا فهل هى مسألة حرب أهلية ، أو هل يكون هتلر على أتم استعداد من أجل هؤلاء السوديت .. ولا إثارة حرب عالمية أخرى بسبب جزء من قطعة الأرض التى وصفها موسولينى بأنها كالزائدة الدودية فى جسم أوروبا ما دامت فرنسا والروسيا لن ترضيا عن غزو التشيكوسلوفا كيا ، ولا يمكن أن تسير فرنسا إلى القتال بغير أن تصحب معها حليفتها عبر قنال المانش .

والأمر الآخر هو أنه من المحال أن تدفع الحدود إلى الوراء فى خط متكسر حتى يمكن أن تفصل المناطق التى تتضمن أغلبية ألمانية لأن السكان فى كل مكان قد اختلطوا ببعضهم البعض بدرجة كبيرة فى العشرين سنة الأخيرة ، فلو أريد أن يعطى لألمانيا كل ألمانى مع الأرض التى يعيش فوقها كان معنى هذا إعطاءها تشيكوسلوفا كيا كلها فى صورة مناطق نفوذ مبعثرة على طول أرض الدولة .

وكان من الممكن أن يقال بأن أى ألمانى نازى فى تشيكوسلوفا كيا يريد أن ينتقل إلى ألمانيا يمكن أن يعطى فسحة من الوقت لتصفية أعماله ونقل ما يمكنه أخذه

معه وعلى أن ينتقل إلى تشيكوسلوفا كيا عدد مماثل من اللاجئين الذين يريدون أن يعيشوا فى ظل حكم ديمقراطى . . ، وعلى أن يكون هذا الاختيار بمحض الرغبة دون أى ضغط وعلى أن تتولى لجنة محايدة هذا.. على أن تضمن كل من الدولتين سلامة رعاياها الذين يريدون الهجرة من أرضها .

ولكن شيئا من هذا لم يكن ليقنع كونارد هينيلين لأن شيئا من هذا لم يكن ليتفق مع الأوامر التى تلقاها من برلين ..، وعلى هذا كان الأمر يسير تدريجيا فى اتجاه يزيده تعقيدا سيما وقد قطعت تشيكوسلوفا كيا جغرافيا عن أصدقائها فى الروسيا وفرنسا هذا عدا أن مواصلاتها وتجارتها لخارج أرضها يمكن أن تقطعا فى أية لحظة ..، وكان كل فرد فى تشيكوسلوفا كيا يخشى أن تكون لهم النهاية التى آلت إليها النمسا ، إلا أن شيئا واحدا كان يفرق بينها وبين النمسا ، وهو قوة جيشها وكفايته ثم التحصينات التى لا تمكن باشتراكها مع طبيعة الأرض من أن تحتلها ألمانيا فى غارة واحدة مفاجئة .

وفى قرابة نهاية ابريل احتشدت القوات الألمانية حول الحدود التشكية وفسرت برلين هذا الحشد بأنه لا يعنى أكثر من الترتيبات العادية لتوزيع القوات فى محطات السلم ، ولكن هذا الحشد بلغ فى منتصف مايو درجة لم يمكن أن يقبل معها هذا التفسير الذى يقول بأن الأمر لايعدو الترتيبات العادية ، وكان لهذا كله ولاشك صدى مماثل فى تشيكوسلوفا كيا نفسها ، وكان من الواضح الجلى فى مناطق السوديت أن ساعة الخلاص قد حانت ، ولكن فردا من هؤلاء لم يكن يعرف حقيقة المستقبل الذى يواجهه ، وعقدت الوزارة التشكية اجتماعا فى يوم الجمعة العشرين من مايو لبحث الحال ، وطال أمد الاجتماع ودعى رؤساء القوات المسلحة إلى قاعة اجتماع الوزراء .. ، وفى المساء صدرت أوامر باستدعاء بعض طبقات من الاحتياطى للخدمة فى القوات العاملة .. وقد أرسلت الأوامر فى الثامنة مساء .. وفى الصباح التالى كان أكثر من تسعة وتسعين فى المائة ممن يشملهم هذا الأمر قد انضموا إلى الوحدات التى عينت لهم...

وأثارت الأنباء القادمة من تشيكوسلوفا كيا قلق الجماهير فى لندن وباريس ... سيما وأن الأحوال تدل على أن الروسيا وفرنسا لن يتركا تشيكوسلوفا كيا تقاتل وحدها إذا هاجمها الألمان ، وأصدرت لندن أوامرها إلى المسيو نيفل هندرسون سفيرها ببرلين أن يقصد إلى ولهلمستراس ليوضح للحكومة الألمانية وجهة النظر الإنجليزية ، ولقد أوضح السير هندرسون الموقف وأن بريطانيا وإن كانت لاتستطيع

أن تقرر من البداية مساعدة تشيكوسلوفاكيا إلا أنه عند ما تعلن الحرب لا يكون الأمر وقفا على أولئك الذين قدموا تعهدات بالمعاونة ، ومن المحال أن يقال إلى أى حد يمكن أن ينتهى الأمر وأية حكومات يمكن أن تضطر إلى القتال ، فان ضغط الحوادث قد يكون أقوى من التصريحات والتعهدات .

وجاء يوم الأحد الحادى والعشرين من مايو بتصريح جديد من فرنسا فقد أخطر وزير خارجية فرنسا سفراء ألمانيا والروسيا والولايات المتحدة أنه إذا اضطرت الحالة مع الأسف إلى العمل فإن فرنسا ستوفى بتعهداتها ..

ولكن لم تكن هناك من حاجة هذا فلم تلبث الأيام أن مرت فى هدوء، ولم يكد يطل على العالم شهر يونيو حتى كانت مسألة تشيكوسلوفاكيا قد انتقلت من الصفحات الأولى للدوريات اليومية ، ولم يعد الأمر يسبب أكثر من قلق الرجال السياسيين فى أوروبا ، وقيل بأن موقف بريطانيا قد أنقذ تشيكوسلوفاكيا وأنقذ السلم الأوروبى.. ، ووجدت الصحف الألمانية التى تصدر فى برلين سببا لمهاجمة حكومة لندن .. كما بدأت صحف روما حملة عنيفة لمهاجمة تشيكوسلوفاكيا، ولكن الأيام بدأت تسدل الستر تدريجيا على كل شىء ... ، وبدأ الناس يظنون أن مسألة السوديت الألمان لن تكون أكثر من باقى المشاكل الألمانية القائمة منذ أن وقعت الدول معاهدة فرساى ، فلم يعد فى الإمكان رؤية الدول تختفى فى أعقاب بعضها البعض من المصورة التى تحمل ألوان مختلفة لتوضح استقلال كل منها ... ، ثم إن مغامرة النمسا إذا كانت قد نجحت ، فان نجاح هتلر ليس معناه أن أوروبا قد نفضت يديها من نظرية إيجاد دول صغرى على حدود الدول الكبرى لتفصل بينها ، وإنما معناه أن إيطاليا الدولة التى ضمنت استقلال النمسا هى التى قبلت أن تحنى رأسها للعاصفة ...

* * *

ومر شهران ... وبدأت المشكلة فى بكورة أيام أغسطس تطل على العالم من جديد وأفاق الناس فى الدول التى تتحدث صحافتها كل يوم بأن لا حرب فى الأفق ليسمعوا بأن الألمان قد استدعوا عدة طبقات من الاحتياطى للمناورات العامة ومدوا خدمة المجندين الذين كان قد حل دورهم للتسريح ... ، وأن مصانع الذخيرة ... وأعمال الإنشاء فى الهضبات الغربية المواجهة لخط ماجينو تسير بسرعة الحمى فى الجسم العليل ... ،

كانت ألمانيا قد تخطت كل حد وجمعت مليونا ونصف مليون جندى مدربين على القتال ضمتهم إلى وحداتها المقاتلة .. ، ولما تم هذا كشفت الصحف عن حملة عنيفة وجهتها ضد تشيكوسلوفاكيا ... ومرة أخرى الأمة التى تعيش كالزائدة الدودية الملتهبة فى جسم أوروبا الذى يحتاج للعلاج الحاسم السريع أن يقضى عليه ...

وكانت بريطانيا قد بعثت إلى براج باللورد رانسيمان للعمل كوسيط محايد للتخفيف من حدة المشكلة ، وبدا لكل فرد أن الذى يسبب تعقد الموقف هو الاعتقاد بأن ألمانيا قد يمكن أن تهاجم تشيكوسلوفاكيا فى أى وقت لو لم تقتنع بأن بريطانيا ستتعاون مع الروسيا وفرنسا فى الدفاع عنها . ، وإن كان الخطر كله يكمن فى أن الهر هتلر ومستشاريه الأقربين جد يثقون بأن بريطانيا فى غمرة سياستها المسالمة لا تنوى إطلاقا التدخل الجدى مهما حدث ...

ومرة أخرى مهما حدث . . .

وكوفىء اللورد رانسيمان على جهوده بأن تقدمت حكومة براج فى الخامس من سبتمبر بمقترحات وسمت بعنوان «المشروع الرابع» كانت فى رأى رانسيمان قريبة جدا من المطالب التى ينادى بها كونارد هينيلين ، وتبعا لاقتناع الوسيط المحايد بها ، وفى غمرة موافقة بريطانيا وفرنسا عليها قدمت هذه المقترحات إلى زعماء السوديت الألمان . . ، وكان لزاما أن يجد فيها هؤلاء حلا عادلا لمشكلتهم . . ، ولكن قبل مرور يوم واحد . . . كان من الممكن أن توضع وثيقة هذه المقترحات فى السجل الذى تحتفظ فيه قصاصات الورق المماثلة التى لا تزال وستظل مذكورة فى تاريخ البشرية . . .

فقد وقع حادث فى ميهريش أوستراو . . .

وكثير من الحوادث تقع كل يوم وفى كل مكان .. ، ومع هذا فإن هذا الحادث الفردى التافه كان من الممكن أن يكون سببا لإغفال المفاوضات . . ، وأن يكون سببا لأن تخرج صحف برلين وقد خط فى واجهاتها بأحرف كبيرة « استخدام الارهاب الجنونى فى تشيكوسلوفاكيا » ، وهو لم يزد عن اصطدام تافه بعض النواب السوديت . . . ولكنه سبب قلقا كبيرا لم يسببه كشف الستار عن مؤامرة كانت أوسع مدى بقصد الحصول على البارود اللازم للمفرقعات . وكان هذا الحادث عاملا

جديدا فى الموقف باعتباره سبب ثلمة فى المفاوضات التى كانت تجرى إذ ذاك ، وعن طريق هذه الثغرة استطاعت قوى كثيرة أن تخترق الجبهة المتصدعة التى كان يمكن أن توجد لايجاد تآلف بين التشك والسلاف والسوديت .

على أن سبتمبر نفسه يمكن أن يعتبر نقطة تحول لكل أمر تكون له صلة بالريخ ففى الثانى عشر من سبتمبر كل عام يخطب هتلر فى اجتماع الحزب فى نورنمبرج ... ، فهل سيخطب هتلر ... بالطبع نعم ...

هل يذكر تشيكوسلوفاكيا ... طبعيا أجل ...

هل سيقوم بحملة عنيفة على حكومة براج ؟ .

أوهل يمكن أن يفكر فى سلم أوروبا فيمر بقصة السوديت الألمان سريعا حتى لايثير المشكلة من جديد ؟ الواقع أنه لم يكن فى العالم كله فرد واحد يستطيع أن يصل إلى إجابة صحيحة ...

وجاء الثانى عشر من سبتمبر وخطب هتلر فحمل على حكومة براج حملة عنيفة وكانت هذه الحملة إيذانا بالفوضى والاضطراب ... وإثارة لهما ...

ثم كان الرابع عشر من الشهر ... كانت القوات الألمانية منذ الأمس قد تم حشدها على حدود تشيكوسلوفاكيا — التى لم تجد من رد حاسم إلا بأن ترسل جنودها لاحتلال تحصينات الحدود والوقوف على حذر ... وفى الوقت نفسه احتلت القوات الفرنسية تحصينات خط ماجينو ، وباتت أوروبا كلها متأهبة فقد نفخ فى البوق .

وفى الصباح الباكر استعرض مستر تشمبرلين فى المنزل رقم ١٠ شارع دوننج ستريت بلندن الموقف لنفسه ، كان كل شىء يبعث على التشاؤم ... ولكن تشمبرلين مهما قال فيه الناس الذين كانوا يعارضون سياسته ، ومهما وجه إليه من نقد احتمله فى جرأة كان رجلا من رجال السلم ... ، وسواء أخطأ أم أصاب فقد كان يعمل بوحى ضميره ... ، ودون استشارة أى فرد مسئول من الوجهة الدستورية بعث يقترح مقابلة هتلر ... وجاء رد برلين بالترحاب ... ، وبدأ فى اليوم التالى رجل يحمل فى يده مظلة سوداء فى التاسعة والستين من عمره أول رحلة جوية له قاطعا قارة أوروبا فى خط أفقى ليصل إلى منتصفها ، ووصل إلى مونيخ بالجو ثم قطع الطريق الباقى إلى وكر هتلر فى الجبل فى سيارة مغلقة ، والتقى الرجلان فى وحدة من الناس إلا مترجم ينقل

حديث كل منهما للآخر ، وطال اللقاء لثلاث ساعات . . . ثم افترق الرجلان . . . ولم يعرف الناس شيئا إلا ما أعلنه تشيمبرلين قبل أن يركب الهواء ثانية بأنه سيعود إلى ألمانيا مرة أخرى ، وأن الهر هتلر سيحتمل عنه بعض العبء فيجيء إلى منتصف الطريق . . .

وبات الناس حيارى هل سيجيء هتلر إلى منتصف الطريق فى كل شيء ؟ ؟

وكان بين الاجتماعين مدة قد تصل إلى أسبوع ، ولكنها مع هذا كانت فترة مليئة بالحوادث ، فقد جاء مسيو ديلاديبه ووزير خارجيته إلى لندن ، وقد تساءل الناس عن سبب هذا ، ولكن كان من الممكن إدراك السبب ، فإن تشيمبرلين فى البيان الذى أدلى به فى مجلس العموم ذكر أنه قال للفوهرر « إذا كنت قد اعتزمت غزو تشيكوسلوفاكيا فلماذا تركتنى أضيع وقتى سدا » فإذن يكون تشيمبرلين قد استدعى ديلاديبه وزميله للنظر فى اتباع سياسة خاصة جديدة قيل إن الدولتين قد اتفقتا عليها بعد أن درستا الموقف ، ولكن شيئا من هذا لم يعلن ، ثم عرف الناس كذلك أن اللورد رانسيمان قد استدعى كذلك من براج ، وأنه قد أشار على الساسة الانجليز والفرنسيين بما وصل إليه نتيجة أبحاثه طوال فترة الوساطة بين التشك والسوديت ، هذه الأبحاث التى عرف فيما بعد أنه قد انتهى منها إلى شيء واحد هو أنه « مادامت هناك أشياء يجب أن تعمل فلتعمل بسرعة » . وكان رانسيمان قد انتهى إلى ضم أرض السوديت إلى ألمانيا حتى دون تصويت . ولكن لما كان هذا لا يحل مشكلة الاحتكاك فى وسط أوربا فلتكن تشيكوسلوفاكيا سويسرة جديدة تتعهد لها الدول الكبرى بالدفاع عن كيانها ضد الاعتداء . . .

وأرسلت الوثيقة التى تحمل خلاصة قرار بريطانيا وموافقة الوزارة الفرنسية إلى براج . . ، وهذه وثيقة لا يمكن أن يقال بأن شيئا على غرارها قد حدث فى السياسة الدولية من قبل ، لأنها تطلب من الحكومة التشكية أن توافق طائعة مختارة أن تنزل عن تحصيناتها ومناطقها الحيوية من أجل السلم فى أوروبا . . ، وهو سلم كان لزاما أن يعرف الساسة الأوربيون أنه لن يتحقق .

* * *

ولم تكد هذه المقترحات تصل براج حتى جمع الرئيس بنيش مجلس الوزراء

لجلسة طالت حتى منتصف الليل . . ، كان وزراء تشيكوسلوفاكيا يواجهون أخطر مشكلة يمكن أن تواجه أمة . . . مشكلة واجهها الدكتور شيشونيغ قبل شهور قليلة ، هل يضحون أنفسهم من أجل سلامة أوروبا . . . أو يقاتلون وحدهم . . . وللنهاية . . ؟ وهى مشكلة قد زاد من تعقدها أصلا تشجيع أولئك الأنصار الذين كانوا يحرضونهم على المقاومة ، ولكنهم الآن يقفون وحدهم دون هؤلاء الأنصار . . ، فماذا يمكن أن يفعلوا . . ؟ وهم لا يستطيعون أن يستندوا إلى أن معاهدة قد وقعت بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا غداة ضم النمسا . . . فلم يعد هناك وقت يسمح بهذا ، والكفاح ضد عامل الوقت مسألة لا يحسنها من يواجه الألمان إلا إذا كان وافر العدة والعدد . . .

وجاء الحادى والعشرون من سبتمبر بجديد . فقد استدعى الوزراء من فرشهم فى الخامسة صباحا إلى مبنى رئاسة الجمهورية ، ولم يكونوا أول من ذهب فإن سفير بريطانيا وفرنسا كانا قد ذهبا قبلهم بساعتين للإلحاح على قبول المقترحات الانجليزية . . . فكانت سياسة قد بيتت بليل . ولم يجد الوزراء مناصا من التسليم . . . ولا يمكن أن نعقب على هذا بأكثر مما قاله لويس بريد فى تسجيله لحوادث عام ١٩٣٨ : « وفى هذه الساعة المؤلمة لم يذكر اسم فرنسا وبريطانيا بأى احترام على ألسنة الجماهير من الرجال والنساء فى طرقات براج » .

وفى تلك الليلة استقال مسيو هودزا وخلفه رجل عسكرى هو الجنرال سيروفى الرجل الذى فقد إحدى عينيه فى القتال ، والذى قاد اللواء التشكى إبان الحرب العالمية الأولى فى القتال وسط سيبريا .

وحملت الطائرة مستر تشيمبرلين مرة أخرى إلى جوديسبرج على الرين ، ولكن تشيمبرلين صدم بقسوة قال عنها فى مجلس العموم (ولست أستطيع أن أقول بأن الهر هتلر كان متعمدا خداعى ولكن عند ما ذهبت إليه قال إنه لم يكن متوقعا أننى سأستطيع العودة إلى جوديسبرج ثانية . فلما بدأت بحث المقترحات التى أحملها معى قال بأنه لا يستطيع الموافقة عليها ، وأن مقترحات جديدة يجب أن توضع بدلها)

وفى الصباح التالى لم يترك تشيمبرلين الفندق الذى يقيم فيه ، بل بعث برسالة إلى الفوهرر . وجاء رد العاهل الألمانى متأخرا ، ثم لم يكن مرضيا بالرغم من أن

سفير بريطانيا فى برلين والسير هوراس ويلسون مستشار تشيمبرلين كانا قد ذهبا للقاء الهر فون ريبينتروب ، وساد القلق جو جوديسبرج . . . ولكن للمرة الثانية بدأت المفاوضات فى العاشرة ليلا . . ، وطال الاجتماع لثلاث ساعات متوالية فى جو مكفهر ، فقد جاءت الأنباء بأن تشيكوسلوفاكيا أعلنت التعبئة لبعض الطبقات وهمس الناس فى العالم كله « هل هى الحرب » ؟

واتصل مستر تشيمبرلين بالهوايت هول فى لندن تليفونيا . ومرة ثانية فى السادسة والربع من مساء الجمعة ٢٣ سبتمبر بعثت الحكومتان الفرنسية والإنجليزية إلى حكومة براج أنهما لاتستطيعان استمرار إشارتهما عليها بالتريث . . . ولكنهما لاتستطيعان أن لا توصياها باتخاذ التدابير العسكرية . . .

وترجم الجنرال سيرو فى هذا بأكثر مما يبدو فى معانى الكلمات فأعلن التعبئة العامة . . .

* * *

وكانت هناك أيضا العلائم التى تدل على دقة الموقف فقد أمرت فرنسا فى الساعة الرابعة من مساء الثالث والعشرين بتعبئة جزئية ، وسارع رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية إلى لندن للتفاهم على المسائل العسكرية التى تهم الدولتين .

وبالرغم من أنه كان معروفا أن الرجلين لم يتفقا على موعد قادم فإن تشيمبرلين طلب من الفوهرر أن يقدم له مقترحاته كتابة مع مصورة توضح مدى هذه المطالب ، ولعل هتلر كان متوقعا هذا لأنه لأول وهلة قدم له مصورة تشيكوسلوفاكيا . وقد وضحت فيها مناطق السوديت مع صورة كاملة من الاتفاقية التى وسمت بعنوان « اتفاقية جوديسبرج » ، وقد يمكن أن نجمل مقترحات هتلر فى :

(إخلاء حكومة تشيكوسلوفاكيا لكل المناطق التى يسكنها أكثر من خمسين فى المائة من السوديت الألمان ، على أن تحتلها القوات الألمانية فى اليوم الأول من اكتوبر) .

(تعين الحدود بعد القيام بتصويت عام فى نوفمبر على أن تتولى هذا إما لجنة تشكية — ألمانية . أو لجنة دولية) .

(تقرر تبعية بعض مناطق أخرى تبعا لتصويت عام ، ولكن هذه المناطق تظل القوات التشكية تحتلها حتى انتهاء عملية التصويت) .

(تسحب القوات الألمانية والتشكية خارج تلك المناطق حتى تتم عملية التصويت)

(باقى التفاصيل يمكن أن تقرر تبعاً لما تبحثه اللجنة التشكية ـ الألمانية) .

الرجل الذى كان يستطيع إيقاف هتلر

ديلفوس على فراش الموت

ولم تكن المذكرة التى قدمها هتلر تقل عن إنذار باقتراب الحرب ، وقد بعث تشيمبرلين بهذه المقترحات إلى حكومة براج دون أى تعليق ، وكان رد حكومة براج الرفض التام .

وفى مساء الاثنين الخامس والعشرين من سبتمبر تكلم هتلر فمنح العالم الذى كان ينصت لحديثه خمسة أيام أخرى لإجابة مطالبه .. ، ولم يحدث هـذا شيئا من الجزع ولـكن تدابير الدفاع ضد الجو والغاز كانت تسير بسرعة الحمى ، ودعيت فى بريطانيا القوات الاحتياطية للدفاع الجوى ، ونقلت المدارس إلى الأرياف كما أخليت بعض المستشفيات من المرضى استعدادا للطوارىء ..

وفى مساء السابع والعشرين من سبتمبر تحدث مستر تشيمبرلين للعالم كله فى المذياع ، وكانت أروع وأقوى جملة فى حديثه كله قوله (ولـكن إذا كانت هناك أمة تريد السيادة على العالم بإخافة الناس من قوتها فإننى أشعر من أعماق نفسى بأن هذه الأمة يجب أن تقاوم) — وطلب مستر تشيمبرلين فى ختام حديثه أن يتقدم كل فرد بخدماته للدفاع الوطنى ...

ولم يكد رئيس الوزراء يتم حديثه حتى أعلن المذيع نص الأمر القاضى بالتعبئة العامة للأسطول البريطانى ..

وعند ما عزف النشيد الأهلى « حفظ الله الملك » حبس الناس أنفاسهم فقد كانت الحرب تتمثل لأعينهم .

* * *

وعقد مجلس العموم البريطانى جلسة عاجلة فى اليوم التالى ألقى فيها تشيمبرلين بيانا طويلا ، وقد توقف عن الحديث عند ما شوهد مستر جون سيمون وهو يقدم له قصاصتين من الورق ، وقرأ تشيمبرلين القصاصتين ثم أردف قائلا (ولدى الآن شيئا آخر يمكن أن أزيدكم به علما فان الهر هتلر قد وافق على إيقاف التعبئة العامة وأنه قد قبل عقد مؤتمر رباعى لبحث الأمر — وتابع تشيمبرلين حديثه فى صوت هادىء — وقد أخطرت كذلك بأن الهر هتلر يدعونى لمقابلته غدا صباحا فى ميونيخ كما دعا السنيور موسولينى ومسيو ديلاديه ، وقد قبل موسولينى الدعوة وما أظن ديلاديه إلا موافينا هناك)

وقوبل هذا التصريح بدهشة .. ، كانت مفاجأة للنواب بل ومفاجأة للعالم كله ... ،

ولـكنها لم تكن مفاجأة لتشيمبرلين لأنه كان يعلم منذ الساعة الواحدة بعد الظهر أن هتلر قبل عقد هذا المؤتمر الذى اقترحه موسولينى عنـد ما طلب تشيمبرلين منه أن يتدخل فى الأمر .

ولـكنها السياسة ....

واجتمع الأقطاب الأربعة فضحوا تشيكوسلوفاكيا . . وأنقذوا السلم فى أوروبا لعام كامل ..، ولـكن الثمن على أية حال كان غاليا ، وقد وقف الناس عند ما واجه تشيمبرلين العاصفة فى مجلس العموم لا يذكرون حتى الترحاب الذى قوبل به الوزير الأول بعـد عودته من ميونخ حاملا مظلته السوداء . . ، ولـكن مع هذا فاز تشيمبرلين بأغلبية ٣٦٦ صوتا ضد ١١٤ صوتا وامتنع عشرون نائبا من مقاعد الحـكومة أن يعطوا رأيهم ... وكانت اتفاقية ميونخ كالآتى :

« تكون عملية الإخلاء فى خمسة مراحل بين اليوم الأول واليوم العاشر من شهر أكتوبر ، والمنطقة التى يتم احتلالها فى الأربعة أيام الأولى هى المناطق التى كل سكانها من الألمان ، أما حد المنطقة التى تحتل حتى يوم ١٠ أكتوبر فتحددها لجنة دولية » .

« كل المناطق التى سيقرر أمرها بالتصويت تحددها اللجنة الدولية وتحتلها قوات دولية » .

« تتعهد فرنسا وبريطانيا بحماية تشيكوسلوفاكيا وتنضم لهذا التعهد ألمانيا وإيطاليا بعد أن يتم إقرار مشاكل الأقليات البولندية والمجرية » .

ولم تجن تشيكوسلوفاكيا شيئا من تدخل فرنسا وبريطانيا ، بل كان عليها أن تترك التحصينات الدفاعية كما هى سليمة ، وحتى المدافع التى كان لزاما أن تطلق قنابلها على الألمان تترك لهم .. »

والغريب أن يقال بأن تشيكوسلوفاكيا قد أخلت هذه المناطق على خمسة مراحل فى عشرة أيام ... ، وكان هذا على ما جاء فى خطاب مستر دوف كوبر الذى ألقاه فى مجلس العموم غداه استقالته من عمله كوزير للبحرية بأن هذه المراحل هى السرعة التى لم يكن الجيش الألمانى يستطيع أن يسير بها فى تشيكوسلوفاكيا لو كان قد حاول غزوها ...

واستطاع الهر هتلر أن يدخل أرض السوديت غازيا .. ، ولم تكن هناك حاجة للتصويت بل أن القوة الإنجليزية التى أريد إعدادها كقوة دولية قد بدا أن لاضرورة لها .

* * *

وكل ماحدث يوم الجمعة — الشىء الذى يقولون عنه إنه سلم — هو فى الواقع انحناء للعاصفة بأى ثمن ...

ولو تكن اتفاقية الدول الأربعة وثيقة سياسية ولا حتى معاهدة دولية ، بل كانت قصاصة جميلة من الورق خط فيها إقرار بالتسليم قبل أن تعلن الحرب .

والغريب أن اتفاقية ميونيخ قد تناست أو أغفلت المئات والألوف ممن ليسوا بألمان أو ممن لا يدينون للنازية بالولاء ولكنهم يعيشون فى المناطق التى يحتلها الألمان .. ، ولم تتضمن هذه الاتفاقية أيضا أية تعهدات للدفاع عن أرواح هؤلاء الناس أو ممتلكاتهم ، بل ولم توجه أية ملاحظة ولو بسيطة إلى المصالح المالية والصناعية، وكان هذا هو أبسط قواعد المنطق والعدالة ...

وكان على أولئك الذين لا يريدون البقاء فى المناطق التى شملها التصويت أن يتركوها فى مدى ستة شهور . ، والغريب أن معاهدة فرساى المعاهدة التى وجهت إليها شتى ألفاظ التهجم كانت قد أعطت الألمان الذين يعيشون فى تشيكوسلوفاكيا نفسها عام ١٩١٩ عامين ليفكروا فى الناحية التى يريدون البقاء فى ظل التبعية لها .، فإذا انتهوا إلى قرار بالرحيل إلى ألمانيا منحوا اثنى عشر شهرا لتصفية أعمالهم وحمل كل ما ينقل أو يمكن أن ينقل من ممتلكاتهم حتى الآلات الصناعية دون أن يدفعوا عليها ضرائب جمركية أو ضرائب كسب العمل لا فى تشيكوسلوفاكيا عند تركها ولا فى ألمانيا عند دخولها .

وقد كتبت معاهدة فرساى بعد خمسة شهور مضت فى بحوث فنية دقيقة ، بحوث دعى لأجلها الاخصائيون للمشاورة كإخصائيين لا كوطنيين تعينهم مصالح أوطانهم ، ولكن فى يوم واحد هو يوم الجمعة الأخير من سبتمبر عام ١٩٣٨ قسمت تشيكوسلوفاكيا بواسطة أربعة رجال وفى أربع ساعات دون أن تسمع كلمة واحدة من الدولة التى اجتمعوا ليقرروا مستقبلها ... وكان يسود جمعهم قانون واحد هو قانون النازى ..، أربعة رجال لم يقطع أحدهم خطوة واحدة فى أرض تشيكوسلوفاكيا ولم يعرف

شيئا عن حقيقة مشاعر أهلها ... ، أربعة رجال لا يمكن أن يتفاهموا على أساس التحدث بلغة واحدة اللهم إلا موسولينى الذى كان وحده يستطيع التكلم إلى الثلاثة الباقين ، ولكنهم كانوا يتفاهمون بواسطة مترجم ألمانى ، وقد استندوا فى مناقشاتهم إلى تقرير رجل واحد هو اللورد رانسيمان ، رجل لم يكن قبل شهرين اثنين قد قضى لحظة واحدة فى أرض تشيكوسلوفاكيا ، ومع أن تقرير رانسيمان قد أشار بضم أراضى السوديت إلى ألمانيا إلا أنه قد أنكر تماما بأن أى اعتداء أو إرهاب قد حدث لأهالى السوديت ، كما القى كل اللوم لقطع المفاوضات على عاتق الألمان ، وكما قرر أنه عند ما وصل إلى تشيكوسلوفاكيا كان هناك آلاف من السوديت الألمان تواقين إلى البقاء تحت حكم حكومة براج . . . ولكن هذا كله قد أغفل .

وكل هذا باسم السلم ...

والسلم ليس هو عدم وجود حرب .. وإنما السلم هو الحالة الإيجابية لإقرار القانون . . ، ولكن السلم الذى أوجدته اتفاقية ميونخ سلم لا ينطبق على قانون ولا يمكن الاحتفاظ به إلا على أنقاض القانون ، سلم أوجدته الديكتاتورية فلا يستقر إلا بالابقاء على هذه الديكتاتورية ..

يقول سبونزا « السلم هو فضيلة تسببها قوة الروح » ، ولم يكن سلم ميونخ بسلم دون أى نصر ... لأن النصر كان فى جانب هتلر .. ، والسلم الذى لافضيلة فيه ليس سلما بل هو بداية مشكلة لاتنتهى ...

وقد كان؛ فان بولندة والمجر كانت لهما بدورهما مطالب بالنسبة للأقليات، وقد عملت بولندة بسرعة فضمت إليها تيسشين الغنية بمناجم الفحم مع ربع مليون من السكان . . ، ثم طالبت بجزء آخر ، وراحت المجر تطالب بقطعة من سلوفاكيا وقطعة أخرى من روتوانيا، ولكن قبل أن تبحث اللجنة الإيطالية — الألمانية هذه المطالب كان الدكتور بنيش قد اعتزل منصبه فى تشيكوسلوفاكيا وتركها لا كما يترك الربان السفينة وهى وسط البحر العاصف ، بل لأن سلامة تشيكوسلوفاكيا من الناحية السياسية كانت تتطلب منه هذا الرحيل ، فقد كان هتلر يكرر دائما أن بنيش هو العقبة التى تحول دون تفاهم الشعبين .

وقبل أن تتم الأبحاث الخاصة بالأقليات كان قد بدا بوضوح أن تشيكوسلوفاكيا قد

باتت محور الاتجاه الاقتصادى والسياسى الذى تسير ألمانيا عبره إلى جنوب شرق أوروبا ...

* * *

ومرت ثلاثة أشهر. وجاء عام ١٩٣٩ معه بجديد فى القصة التى لم تكن قد تمت فصولا ، كان الرئيس هاشا قد خلف بنيش فى رئاسة الجمهورية التشكية ، وكان كل شىء يبدو هادئا فى ذلك الجزء من وسط أوروبا ، ولكن عملاء النازى كانوا يعملون ، وكان أولئك الذين يقرأون ما بين السطور يقولون بأن العاصفة لا تزال ثائرة ...

كانت تشيكوسلوفاكيا قد نفضت أيديها من الأقليات الأجنبية فقامت فى أعقاب هذا مشكلة الأقليات الكبرى .. مشكلة العنصرية بين السلاف والتشك والرتوانيين ..، وفى زعم هتلر أن الأمر يتطلب وضع حد ... على أساس استقرار صحيح من وجهة نظر الألمان .

وفى الثالث عشر من مارس بعث هتلر يطلب هاشا لمقابلته فى برلين — وفى نفس اليوم أعلن الأب تيسو تكوين ولاية مستقلة من سلوفاكيا ... أمة فى داخل أمة ، ودولة فى قلب دولة ...

ولاسبيل إلى إعادة ماحدث بين الرجلين فقد كان صورة مما حودث به شيشونيغ لا من أعوام بل من شهور تعد على أصابع اليدين ، وأحنى هاشا رأسه للعاصفة . . ، وبعد يومين اثنين عرضت القوات الألمانية فى خطى الأوزة وسط طرقات براج ...

ولم تجد حكومة فى أوروبا أى سبيل للاعتراض لأن الدولتين الغربيتين اللتين تتحدثان باسم الديمقراطية كانتا قد أقرتا فى ميونخ من شهور ستة شيئا من هذا باسم الإبقاء على السلم فى أوروبا ...

ومرة أخرى لم يكن فى هـذا أى شىء من الحقيقة ... وكانت اتفاقية ميونخ قد وضعت الأساس لتمزيق الدول الصغرى لإرضاء النمر الذى لا يعاف أى فريسة .

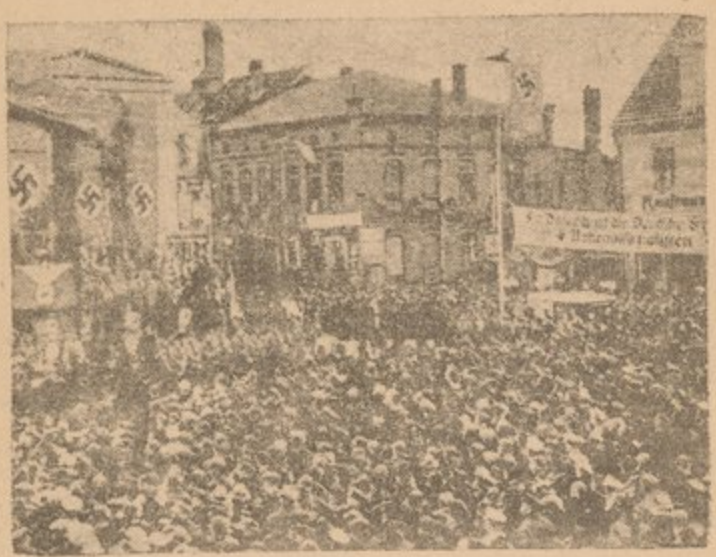

شعب وصليب معقوف ! ! !

الذبحة الأخيرة

وجاءت بولندة إلى الوجود على أنقاض ثلاث امبراطوريات كانت قد اقتسمتها فيما بينها فى وقت ما ، وكانت هذه الحدود السياسية التى تحيط بها قد نظمت جزئيا فى معاهدات عام ١٩١٩ ، ثم تمت فصولا فى اتفاقية ريجا التى جاءت فى أعقاب فرساى وبعد عامين منها ، وكان من الخطأ أن يقال بأن تكوين بولندة والجمهوريات الصغرى الأخرى التى حولها إنما جاء صناعيا وقدقامت به الدول الكبرى لأغراض سياسية ، لأن هذا التكوين الاستقلالى لهذه الجمهوريات إنما جاء وليد حقوق الأهلين فى كل منطقة ، الحقوق السياسية والاجتماعية ، ثم إلى أبعد من هذا الحقوق الاقتصادية .

ثم إنه كان من المتوقع أن ترضى تلك الامبراطوريات الثلاث بكل ماحدث ، فان امبراطورية النمسا والمجر كانت قد انتهت من الوجود ، وبذلك لم تكن هناك أية مشكلة من هذه الناحية ، وكانت روسيا السوفيتية شيئا آخر غير روسيا القديمة . ، وهى لاتعتبر وريثة لها بحكم انصرافها إلى آراء ومعتقدات جديدة دون أن تعنى بسياسة تملك تبعا لعنايتها بالتطورات الداخلية التى تشغلها ولا ريب عن الاعتداء ، ثم إن اتفاقية ريجا كانت تتضمن الأسس التى تصلح لإيجاد علاقات حسنة بين الدولتين وإن كان من غير المنطق أن يقال بأن الروسيا كانت راضية مقتنعة بكل شىء ، ولهذا فقد مرت بعض أعوام دون أن يتواجد بين موسكو ووارسو أى شىء أكثر من هدوء بارد . . ، والسوفييت ينظرون إلى بولندة وكأنها الحد الخارجى للرأسمالية بينما ينظر الآخرون إلى الروسيا باعتبار أن أى توجيه لجهودها الشيوعية يجب أن يمر عبر أراضيها فى اتجاهها للغرب .

ولكن المشكلة الحقيقية كانت من الجهة الأخرى من ناحية جمهورية ويمر (ألمانيا) التى كانت تلح لمحاولة تعديل الحدود ، هذه الحدود التى توجه وحدها

النظر إليها بسبب فصل بروسيا الشرقية عن الريخ ، ثم هذا الممر الذى يؤدى ببولندة إلى البحر ، ولم تكن بولندة تخشى هجوما مفاجئا من الجانب الألمانى بقدر ما كانت تخشى التماثل فى الاراء بين برلين وموسكو ثم هذا التعاون الواضح بين هيئتى أركانى الحرب فى جارتيها القويتين . . ، وبقى هذا الخطر يتأرجح بين الاستتار والظهور حتى عام ١٩٣٣ عند ماجاء الاشتراكيون الوطنيون إلى الحكم .

على أنه فى طوال هذا الأمد لم تكن سياسة بولندة واضحة لأن البولنديين أنفسهم كانوا فى حاجة أولا إلى أن يعرفوا بعضهم البعض ، ثم لأنه عند ماجاء السلم وجاءت عصبة الأمم التى يعتقد البولنديون أنها (النظام الجديد لأوروبا) كان البولنديون لازالوا فى حاجة إلى الوقت ليعرفوا أين تقف الأمور ، . .

والواقع على أن سياسة بولندة الخارجية وعلاقاتها بجيرانها إنما أملاها مركزها الجغرافى وهذه مسألة من الصعوبة بمكان ، ومالم تتوفر حسن النية فلا يمكن بسبب تعرضها — أن تعيش بمنجاة من القلق المستمر .

وسواء أكان صوابا أم خطأ فإن بولندة قد اعتقدت أن عصبة الأمم يمكن أن تكون الآلة المحركة التى يمكن أن توجد نظاما دوليا لايستند إلى القوى العددية والتسليح بل إلى قوة العقل والروح ، وفى الوقت الذى آمنت بولندة بهذا لم تكن أى من الدول القوية تؤمن بشىء مثل هذا ، كانت كل من فرنسا وبريطانيا تعمل فى اتجاه خاص ، وتركت اليابان مبنى العصبة إلى غير رجعة ثم تركته فى أعقابها ألمانيا ، وبدا أن العصبة لايمكن أن تملى إرادتها على الخارجين على القانون وبدا أن سلطات جنيف تتضاءل ، ولهذا كان لزاما على بولندة أن تعمل بوحى رأيها الخاص وأن تستند فى كل هذا إلى قوتها .

وكانت بولندة من البداية قد اعتبرت نفسها سياسيا وجغرافيا أمة من أمم البلطيق لامن أمم حوض الدانوب ، فجبال الكربات تفصل بينها وبين الأخريات ، هذا عدا أن جزءا قليلا منها هو الذى كان أصلا من امبراطورية النمسا والمجر ، ولهذا كانت محقة يوم أن لم تشترك فى الحلف الصغير ، وعقدت بدلا من هذا حلفا مع فرنسا ثم آخر مكملا مع رومانيا . . . ، وفى طوال هذا بدأت مفاوضات ودية مع الجمهوريات الصغرى فى إقليم البلطيق انتهت فى مارس عام ١٩٣٨ بأن تناست ليتوانيا أوجه الخلاف الماضية وتمشت مع المجموعة كلها فى أغراضها السلمية .

على أن الحلف مع فرنسا لم يكن مرضيا للساسة البولنديين .. فرجال « كوى دورساى » كانوا لايعتبرون بولندة شريكة على قدم المساواة ، وتلطف أحد الساسة الفرنسيين فقال « أما بالنسبة لبولندة فنحن نحملها بين ذراعينا » وعند ماتطورت السياسة البولندية عام ١٩٢٦ توقفت بولندة عن متابعة تلقى الأوامر من باريس . . .

على أن الهدوء القوى الذى أعقب لوكارنو وإن كان قدقلل من القلق على الرين لم يذكر شيئا عن أى مكان آخر . ، ولم يكن فى العالم من يهتم بما يمكن أن يحدث على الفستيولا ، وتبعا لما حدث فى فرنسا انصرفت السياسة الألمانية نحو بولندة لتكون أقرب إلى الصورة العدائية من أى شىء آخر ، وهكذا ضاع هباء كل الغزل السياسى الذى كان بين بريان وستريسمان كما ضاعت خطط الدول الأربعة الكبرى ، وكان اجتماع الحلف الصغير وبولندة فى صورة واحدة يحمل صرخة واحدة هى « بدوننا .. ولا شىء عنا » .

وكان هذا كله يثبت آراء بلسوديسكى ويقوى من معتقداته وبات من الضرورى أن تبدأ بولندة باعداد جيش وطنى قد تحتاجه يوما ما للحياد اللازم تبعاً لوقوفها بين جارتين قويتين تقف كل موقف الخصومة من الأخرى ، ورأى بلسوديسكى أن سياسة بولندة الخارجية تتطلب تعديلا جديداً فاستبدل وزيره زاليسكى عام ١٩٣٢ بالكولونيل جوزيف بيك الرجل الذى أشرف هو نفسه على إعداده .

وفى بداية التطورات عقدت معاهدة عدم اعتداء بين بولندة والسوفييت فى ضوء اتفاقية بريان — كيلوج ، وكانت هذه المعاهدة إحدى الدعامات التى أبقت السلم والاستقرار فى أوروبا لسبعة أعوام متوالية .

على أن المانيا عندما صعرت خديها للعصبة لم تعش فى عزلة وسرعان ما انتهز بلسوديسكى الفرصة ، ثم كانت مفاوضات كانت بولندة طوالها تمسك بخير الأوراق الرابحة .. ، وانتهى الأمر بالتصريح التاريخى الذى يحمل رقم اليوم السادس والعشرين من يناير عام ١٩٣٤ وفيه أكدت المانيا رضاءها بالحدود القائمة بين الدولتين وفرضت أمدا طوله عشرة أعوام تكون أى حرب فيها بين الدولتين مسألة غير قانونية ، ثم أكدت أن أى خلافات بين الدولتين يجب أن يتم حلها بمفاوضات سلمية بينهما ، وكان هذا الحلف من الحوادث القليلة التى فوجىء بها الناس منذ الحرب

العالمية الاولى ، حتى أن الكتب التى كانت فى دور الطباعة وكان تتحدث عن أن دانزج ستكون سبب الحرب العالمية الثانية قبل مرور ثلاثة أشهر كان لزاما أن تسحب من المطابع لتمر بها أقلام المؤلفين مرة ثانية . . ، وكان كسب بولندة كبيرا فإن ماحاول زاليسكى فى أعوام كثيرة أن يتمه قد انتهى إلى أن بات حقيقة واقعة ، ولكن فرنسا كانت غاضبة ... ولم تدفع بولندة ماوجه إليها من نقد بأكثر من أنها حاولت عبثاً أن توجه نظر فرنسا إلى الخطر الذى يتعرض له السلم فى وسط أوروبا ، وأنها بعد أن لبثت طويلا تحدق بلا نتيجة فى لندن وباريس كان لزاما عليها أن تعمل وحدها من أجل مصالحها ..،وقد أنكرت بولندة أن التصريح يحوى بضعة فقرات أخفيت عن أن تعلن للناس . . ، وكان المدهش حقا أن تكون بولندة طرف مشترك فى معاهدة مع روسيا من جانب وفى اتفاقية مع المانيا من جانب آخر ...

* * *

وجاء عام ١٩٣٤ بالمتاعب فى النمسا ثم مقتل ديلفوس ، وبدا أن مطامع المانيا الهجومية ستتجه جنوبا فى حوض الدانوب بدلا من أن تتجه شرقا نحو بولندة ، وجاء مارس ١٩٣٥ بإعلان الألمان عدم اعترافهم بفرساى وأنهم سيسلحون جيشهم من جديد ، وفى ربيع عام ١٩٣٦ احتلت القوات الألمانية أرض الرين ، فبدأت بولندة محادثاتها مع حكومة باريس قائلة « لو كنتم قد اعتزمتم الحرب فنحن معكم ، ولكن لو كنتم ستبدأون مفاوضات فاتركونا نتابع سياستنا الخاصة » ، وفى ذلك الوقت لم تكن فى أوروبا كلها حكومة واحدة تدرس خطط النازى فى صورة أقرب إلى الحقيقة مما كانت تدرسه به حكومة شارع ويرز بوفا فى وارسو .

وفى خريف عام ١٩٣٦ زار المارشال سميجلى ريتز باريس فى زيارة رسمية كما فعل سلفه منذ أربعة عشر عاما من قبل ، وفى هذه الزيارة جدد الحلف الفرنسى — البولندى كما عقد قرضاً لبولندة لتتمكن من تجديد جزء كبير من جيشها فى صورة تماثل العصر ، وفى هذه الزيارة أيضا درست بعناية خطة الدفاع عن حدود بولندة الغربية ثم عدلت هذه الخطة .. ولكن مع الأسف أنها عدلت طبقا لتكتيكات القتال البطىء . . بل ولم تضع موضع التقدير حتى ما كان يبدو فى المناورات الألمانية ،

ولهذا عندما طبقت أولى أصول الحرب البرقية لم تكن هذه الخطة التى وضعت فى باريس صالحة للوقوف على قدميها لأكثر من ثلاثة أسابيع .

وكان احتلال الألمان للنمسا فى مارس عام ١٩٣٨ حافزا لبولندة لترسل إلى ليتوانيا إنذارا لايعنى الحرب بل السلم لضرورة فتح الحدود المغلقة بين الدولتين ، وكان لهذا الإنذار أثره فى إيجاد جو جديد فى هذا الجانب من أوروبا .

ثم كانت أزمة تشيكوسلوفاكيا... وأدلت حكومة وارسو بدلوها فى الإناء فاستطاعت فى آخر لحظة أن تحول بين الجنود الألمان وبين استعباد مائة وعشرين الف بولونى ، وأنقذت مسافة خمسين ميلا من سكة حديد وسط أوروبا من أن تقع لقمة سائغة فى يد الألمان ...

على أن الموقف الجديد فى تشيكوسلوفاكيا كان أيضا قد جاء بموقف جديد بالنسبة لبولندة ، فقدباتت محاطة بألمانيا النازية لامن الشمال والغرب بل وأيضا على طول الحدود الجنوبية ، ثم إلى أبعد من هذا فإن الطريق إلى رومانيا وإلى البحر الأسود قد بات مفتوحا فى وجه الألمان .، ولإيقاف هذا بدأت المفاوضات بين المجر وبولندة ، هذه المفاوضات التى انتهت إلى إيجاد حدود مشتركة بينهما على الجانب الشرقى لجبال الكربات حيث يمكن أن يوقف أى تقدم المانى إلى شمال رومانيا أو إلى حقول القمح فى أوكرانيا .

* * *

على أن موقف بولندة ـ وإن كان أولئك الذين يقيمون الشرق الفستيولا قد ارتضوه . فإن أولئك الذين يقيمون غرب النهر ـ وهم أكثر معرفة بالألمان من غيرهم ـ كانوا يهزون رؤوسهم لأنهم لايثقون بشىء . . ، وإذا كان الوزير بيك يمكن أن يكون عرضة لأى نقد فهو أنه كان أقل سياسي أوروبا كلاما ، الأمر الذى كسب له لقب « أبو الهول » ، وقد لا يكون هذا مؤسفا فى وقت كانت كثرة الكلام متعبة للناس مجهدة لأعصابهم ، ولكن الواقع أن بولندة كلها كانت تأسف لانقسام أوروبا إلى معسكرين وكانت لاتود حقيقة أن تساهم فى أيهما ، ثم هى لم تضم إلى الحلف الفرنسى — الروسى — التشكى لأنها لم تكن تود أن تعطى الألمان

فرصة التحدث عن التطويق الجغرافى ، وكان كل ماتطلبه بولندة من جيرانها كلهم هو أن يعاملوها على قاعدة المساواة السلمية والصداقة لاعلى قاعدة الخصومة المستورة بألفاظ جوفاء، وكان لها كل الحق فى غمرة هذه الروح أن تعتقد بأن أى شىء يمكن أن ينشأ عن الموقف فى دانزنج أو عند مصب الفستيولا لن يكون خطيراً بل يمكن حله فى ضوء الروح السلمية ...

* * *

وفجأة دق الناقوس ...

وفى الثامن والعشرين من إبريل عام ١٩٣٩ أعلن هتلر أنه قد نفض يديه من الاتفاقية البحرية مع بريطانيا ، ومن حلف العشر سنوات مع بولندة ، وكتب هتلر بذلك سطراً جديداً فى سجل التاريخ . . ، ودخلت الأمة البولندية — من الناحية النفسية على الأقل — فى عهد جديد بالنسبة لعلاقاتها بالدولة المجاورة ، فقد كشف الستار وحسر القناع عن حقيقة قديمة هى أن بولندة والمانيا لايمكن أن تعيشا معا كجارتين متآلفتين ، ولكن الكثيرين كانوا يقولون بأن المسألة كلها لاتعدو مناورة من هتلر فهو لا يمكن أن يجازف بالحرب ، وبقيت حكومة وارسو بين هؤلاء وهؤلاء ترقب كل التحركات فى لوحة الشطرنج العالمى ...

وبدت حقيقة نوايا الألمان بالنسبة للشعوب غير الألمانية التى فى وسط أوروبا ، فهؤلاء يمكن أن ينالوا استقلالا اقتصاديا وثقافياً ، ولكن لا أكثر من هذا ، ولا يمكن أن تكون لأية أمة فى وسط أوروبا علاقة سياسية بدولة أخرى مالم يتفق هذا مع رأى حكومة برلين ، وقد رفض التشك الانصياع لهذا فحق عليهم أن يحتملوا الغرم كله ، وجاء دور بولندة واعتبرت زيارة بيك للندن عملا عدائيا للريخ الثالث ، وهكذا كان حكم المانيا على قصاصة الورق التى تحمل تاريخ يناير ١٩٣٤ ، وكان حكم العالم كله بأن زعماء الأمم لم يعد من سبيل للوثوق بهم .

وعرف الناس فى العالم كله ما أجاب به بيك فى السابع من مايو ردا على الهر هتلر.. فقد ذكره بأن لكل الناس حق البقاء كما للألمان . . ، وقدر كل فرد درجة هذه المخاطرة ، ولم يتردد بولندى واحد حتى من العشرة ملايين الذين ليسوا بولنديين ولكنهم يعيشون وراء حدودها السياسية فى أن يوافق على إجابة الكولونيل بيك،

ووقفت الأمة البولندية من كل الطبقات وقفة رجل واحد .. ووصل القرض الأهلى للدفاع الجوى إلى أربعمائة مليون زلوتيس أى ثلاثة أضعاف المبلغ الذى كان مقدراً لتغطيه القرض ، وكانت الحوادث بدورها تمر بسرعة فقد زار وارسو الجنرال راشكيبتس القائد العام لقوات ليتوانيا كما زارها الرفيق بوتيمكين وزير خارجية الروسيا .

* * *

على أن مشكلة دانزج نفسها لها تاريخ .. ، وأى شىء يمكن أن يكون له تاريخ إن لم يكن لدانزج تاريخها ، ففى موتمر الصلح عام ١٩١٩ قيل بأن دانزج يجب أن تترك لبولندة ، ولكنها بدلا من هذا جعلت مدينة حرة فى غمرة الرغبة للوصول إلى حل وسط بين مطالب الألمان ومطالب البولنديين ، والواقع أنه لولا التدخل المستمر من حكومة برلين لأمكن أن يتوفر فيها تعاون دائم لمصلحة البلدين ، والوضع الجغرافى نفسه يقول بأن دانزج هى الميناء الطبعية لكل الأرض الداخلية ولكنها مع هذا كانت — حسب الوضع السياسى — جزءا من المانيا ...

فإذا قيل وهل من الممكن التغلب على التقاليد القومية ؟ كانت الإجابة نعم ... فقط يجب إغفال ناحية واحدة من الأمر وهى سياسة القوة ، فإن المدينة يمكن أن تبقى لها صبغتها الألمانية من الناحية المادية والثقافية وفى الوقت نفسه تخدم مصالح الخمسة وثلاثين مليونا من النفوس الذين يعيشون فى بولندة ، ولكنها لاتستطيع أن تقوم بهذا الدور لو ضمت إلى الريخ النازى ، ذلك لأنها لو ضمت إلى المانيا النازية فإن الألمان سيسيطرون على المخرج الوحيد لبولنده إلى البحر ، ولو قيل بأن بولندة تقبل ضم دانزج إلى الريخ على شريطة عدم جعلها مدينة قوية ذات تحصينات يمكن أن تكون لها يوما ما خطورتها ضد بولندة كان هذا هراء .. ، وقد علمت التجارب بولندة ، أن لا تثق بشىء ومن أجل هذا نظمت ميناء جدينيا لتحتمل مع دانزج أربعة أخماس تجارتها وباتتا معا النافذة التى تطل بولنده منها على العالم الخارجى .

وقد عرف فيما بعد أن هتلر كاد يتبع دخول براج وإحتلال ممل بالاستيلاء على دانزج لولا روح المقاومة التى كانت واضحة فى كل أعمال السلطات البولندية ، ومن ذلك الوقت والجيش البولندى كامل العدد والعدد طبقا لمرتب الحرب وهو أمر يكلف

بولندة مليونا من الجنيهات كل أسبوع، ولكنه عبء لم يكن أمام بولندة أى شىء آخر غيره لتتخير الأهون والأيسر ، وكان الدفاع عن دانزنج قد ترك أصلا لعصبة الأمم وهذه نزلت عنه لبولندة ، وفى حالة أية متاعب كان عليها أن تعتبر دانزنج جزءا من الممر الذى يقودها إلى البحر .

وكانت مشكلة الممر البولونى جزءا من المشكلة العامة وهى ربط بروسيا الشرقية بألمانيا ، وكما يعبر الممر خط حديدى من الشرق إلى الغرب فهناك خط آخر من الشمال للجنوب ، وقد دلت أرقام عام ١٩٢٩ أن حركة التجارة من الشمال للجنوب ثمانية أضعاف حركة التجارة من الشرق للغرب ، ودلت أرقام عام ١٩٣٩ على نسبة أكبر فقد كانت جملة الحركة التجارية .

من الشرق للغرب وبالعكس	١٤٠٢٠٠٠ طن
من الشمال للجنوب وبالعكس	١١٩٠٠٠٠٠ طن

فإذا كان هتلر يكرر الاصطلاح الذى أوجده ويلسون من أنه لكل أناس أن يعيشوا فى ظل الحكومة التى ترضيهم ... فلماذا تناسى هذا بالنسبة للتشك والسلاف الذين يعيشون فى تشيكوسلوفاكيا ، وكانت حقوق بولندة ومصالحها فى دانزنج والممر واضحة لكل ذى عينين .

وكنتيجة لهذا كله أعلنت بريطانيا أنها بالإضافة إلى أن حدودها الشرقية تقع على الرين الغربى . . . فإن حدودها تمتد إلى الفستيولا أيضا ، وأن أى اعتداء على بولندة معناه الحرب .

* * *

ولكن الحوادث كانت بدورها تتوالى بسرعة وفى ختام مايو كانت تدور فى موسكو مفاوضات لإيجاد حلف روسى ـ فرنسى ـ إنجليزى ، ولكن المفاوضات توقفت لأن الروس أصروا على الدفاع عن كيان دول البلطيق طلبت هذه الدول المساعدة أو لم تطلب ، فقد كان الروس يذكرون ماقاله هندنبرج عام ١٩١٧ فى مؤتمر بريست ليتوفسك عند ماسئل عن علة إصراره على الحصول على ولايات البلطيق (لأننى أحتاجها للمناورة التى يقوم بها جناحى الأيسر فى الحرب القادمة) .

وفى أثناء هذا كانت العلاقات بين بولندة والمدينة الحرة تسوء فإن الأسلحة كانت تتسرب إلى المدينة ، ثم بدأت الصحف الألمانية حملتها بذكر الإرهاب أو الاضطهاد الذى تعيش فيه الأقلية الألمانية وأخذت تتحدث عن .

١ — محاولة بريطانيا الاحداق بألمانيا وإحاطتها بسور قوى من حلفائها .

٢ — إن ضم دانزنج للريخ لايكفى بل يجب حل كل المشاكل البولندية بإرجاع حدود ألمانيا إلى ما كانت عليه عام ١٩١٤ .

ثم فوجىء العالم عند ماأعلن فى يوم ٢١ أغسطس أن فون ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا سيطير إلى موسكو فى الثالث والعشرين من أغسطس — أى بعد يومين اثنين — ليوقع معاهدة عدم اعتداء بين الروسيا وألمانيا ، إذ كان الناس يعرفون أن فى موسكو لجنة فرنسية إنجليزية أيضا .

فماذا كانت تعمل تلك اللجنة ؟

وفى الرابع والعشرين بدأت بولندة حشد قوات الاحتياطى ، وفى اليوم التالى تحدث هيس فى المذياع فأعلن للناس أن خط سيجفريد لايمكن أن يقتحم ولكن الألمان يعرفون كيف يمكن أن يقتحموا أى خط دفاعى ، وأن ألمانيا لن تقتل جوعا سيما بعد أن وقعت المعاهدة الروسية الألمانية .

ثم كانت الطلقات الأولى فى صبيحة سبتمبر عام ١٩٣٩ . . وكانت الحرب .

دماء فى أسبانيا

رجال ورمال . . .

الولايات المتحدة فى مفترق الطرق

على أن اتفاقية ميونيخ (٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨) كان لها صدى فى النصف الغربى للعالم ، وكان لزاما أن يكون لها هذا الصدى لأن أوروبا قد بقيت لشهر كامل تتوقع الحرب فى صورة لم تحدث من قبل منذ أن أوقف التراشق بالقنابل فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩١٨ ، وتحدث الوزير «هل» الأمريكى فى اليوم التالى فلم يسرف فى التفاؤل .، بل صارح الناس بأن الأمر لازال فى حاجة إلى زيادة الجهود للاحتفاظ بالسلم على أساس التعاون الودى بين الأمم .

وعاد الوزير هل فى بداية نوفمبر فحذر الناس من أن العالم لايعيش فى مفترق الطرق ولكن قوة الاختيار لا تزال متوفرة فى الأفراد ، وأن أحد الطريقين الماثلين أمام أعين الناس هو زيادة الاستناد إلى القوات المسلحة كوسيلة من وسائل السياسة الأهلية .. هذا الاستناد الذى يعنى تضحية مطالب الفرد ... ، والذى يقلل من المستوى الاجتماعى والثقافى والروحى فى الأفراد عند ما يقدرون أن العقل والمنطق وضبط النفس لم تعد وسائل صالحة لتعاون البشر ، وأن كل شىء قد بات يتطلب الاحتكام إلى القوى المدمرة التى تفوق مدى التصور الإنسانى . أما الطريق الآخر فهو الاستناد إلى حكم القانون البشرى فى العلاقات الفردية والدولية بين الناس كلهم، الأمر الذى يمكن معه إطلاق القوى المنتجة كلها للعمل لتقدم الجنس البشرى ، والتى تمكن هذا العقل البشرى من الانصراف مرة أخرى إلى السلم .

وفى هذا الحديث وجه الوزير هل الأنظار إلى أنه مالم يتوفر الامن الاقتصادى والتوازن السياسى بين الدول فلن تتوفر هناك أية علاقات منظمة تتمشى مع قواعد السلم بين هذه الأمم ... ، سيما وأن توقف التبادل التجارى بين دولة أو أكثر وباقى دول العالم إنما يؤدى بلا شك إلى أن تسيطر عوامل الشر على كل حقوق الأفراد فى هذه

الأمم .. وبالتبعية يؤدى هذا إلى استعدادها للحرب بسبب الروح العدائية التى تتملكها بالنسبة لباقى دول العالم .

* * *

وجاء خريف عام ١٩٣٨ بعامل جديد هو ازدياد الضغط على اليهود فى ألمانيا ثم فى النمسا والمناطق التى استعيدت لدولة الريخ ، وفى الخامس عشر من نوفمبر أعلن الرئيس روزفلت (أنه لم يعد يستطيع أن يصدق بأن أشياء كهذى يمكن أن تحدث فى القرن العشرين) — وبعث روزفلت يستدعى سفيره هوج ويلسون من برلين .

فكان هذا إنذاراً للعالم كله بأن الولايات المتحدة قد بدأت تعنى بشئون الجانب الآخر من العالم ، وأنها قد باتت أقرب إلى أوروبا مما كانت من قبل .

وفى غمرة الإشاعات الكثيرة عن اقتراب أوروبا وآسيا من حرب جامعة تشترك فيها أمم كثيرة ... تابعت جمهورات أمريكا كلها جهودها لمحاولة تقبل الدول لأحكام القانون الدولى مع العمل لحماية أراضيها من الأخطار التى تكاد تسبب اشتعال النار فى أوروبا .

وكانت الولايات المتحدة تتصدر هذه الحركة السلمية باعتبارها زعيمة الجامعة الأمريكية فى العالم الجديد .، وباعتبارها قاعدة التوازن الدولى فى أية مشكلة أممية جامعة ...، وقد خطت الأمم الأمريكية خطوات موفقة فى سبيل هذا فى مونتفيديو عام ١٩٣٣ وفى بونس إيريس عام ١٩٣٦ ثم فى ليما فى ديسمبر عام ١٩٣٨

وفى المؤتمر الأخير قررت إحدى وعشرين جمهورية أمريكية أن تتعاون معاً فى الدفاع عن كل الأصول التى جاءت فى حديث الوحدة الأمريكية والدفاع معاً ضد أى تدخل أجنبى يهدد هذا التماسك فى وقت السلم ، مع الدفاع عن أية جمهورية أمريكية تهدد بالحرب ، ولتيسير عملية المشاورة فقد تقرر أن يتقابل وزراء الخارجية للجمهوريات الأمريكية من حين لآخر .

وقد جاءت فى التصريح الذى وقعه مندوبو الاحدى وعشرين جمهورية أمريكية أصول لم تكن جديدة فى العرف الدولى ، ولكن الجديد فيها أن العالم كان قد نسيها وهى :

« التسوية السلمية لأية خلافات دولية »

« إغفال استخدام القوة كوسيلة لإقرار السياسة الدولية »

« احترام المعاهدات ونصوص القانون الدولى »

« التعاون السلمى مع التبادل الثقافى بين الدول »

« إعادة التنظيم الاقتصادى »

« التعاون الدولى »

* * *

وجاء عام ١٩٣٩ بجديد — وفى الرابع من يناير بعث الرئيس روزفلت إلى مجلس الكونجرس برسالته السنوية ، وفى هذه الرسالة تحدث عن الحرب التى تبدو فى الأفق ، وأن السلم العالمى ليس مضمونا ولا مؤكداً ، وأن العاصفة التى تعصف فى العالم كله عاصفة تحمل فى جوانبها أكبر تهديد اقتصادى عسكرى للدول الآمنة .. ، ولا يمكن أن تعيش الولايات المتحدة آمنة وسط فلسفة العنف التى تطغى على العالم كله والتى قد تغزو المعتقدات الأمريكية ، ولهذا ليس من المنطق الانتظار (حتى نحاط بخصوم معتقداتنا) .

وكانت آراء الرئيس روزفلت قائمة على أساس أن العالم قد بات صغيراً وأن أسلحة الهجوم قد باتت مريعة بدرجة لا يمكن معها أن تبقى أى دولة آمنة مطمئنة إذا رفضت أى دولة أخرى أن تنهى مشاكلها معها فى اتفاق ودى ، وتحدث الرئيس روزفلت كذلك متهكما بالأوضاع الماضية التى تقف فيها بعض الدول زاعمة حيادها التام فى الوقت الذى تعاون فيه أحد الجانبين المقاتلين وتحرم الجانب الآخر من كل شىء . . .

ثم مرت أيام ثمانية وبعث الرئيس روزفلت برسالة أخرى يطلب فيها اتخاذ تدابير عملية لتقوية الدفاع عن الولايات المتحدة على أن يكون هذا وبأسرع ما يمكن . . . ، وتقوية الوسائل الدفاعية حق دستورى للرئيس الأمريكى الذى يملك إعلان الحرب لو وجد لزاما لهذا . . . ، وخط الرئيس روزفلت أصول هذه السياسة الجديدة عند ما أجاز إنفاق نصف مليون دولار لتقوية الأسطول والجيش والسلاح الجوى ، مع العناية بمسألة الدفاع الجوى للقارة التى تمتد بين الاسكا وهواى وبورتوريكو ومنطقة قنال بنما ،

كما أوصى بزيادة تدريب مجموعة كبيرة من الطيارين للأسلحة الثلاث ، وقد اعتبر الجمهورى الأول أن هذه التدابير هى أقل ما يمكن أن يتمشى مع احتياجات الدفاع . . .

على أن حكومة الولايات المتحدة كانت إلى أبعد من هذا تفكر فى ضرورة تخزين الكثير من المواد الخام ذات الأهمية الاستراتيجية التى لا تنتجها الولايات المتحدة أو التى يكون إنتاجها منها أقل مما تحتاجه فى حالة الحرب ، وقد كشف التحقيق والبحث عن عدد من المواد الخام قد يتعذر استيرادها إلى الولايات المتحدة فى حالة حرب عامة سواء أكانت الولايات التحدة مشتركة فيها أو غير مشتركة ... وقد وافق مجلس الكونجرس على إنفاق مائة مليون دولار لاعداد بعض المواد الخام اللازمة للدفاع ، كما استوردت الولايات المتحدة فى يونيو ٣٩ مائة ألف طن من المطاط من الامبراطورية البريطانية على قاعدة التبادل التجارى ، أى أن تقدم قطنا بدلا من المطاط .

وانتهى الهدوء الذى كان يسود جو أوروبا يوم أن احتل الألمان تشيكوسلوفاكيا فى الرابع عشر من مارس . . ، ثم فى يوم الجمعة السابع من ابريل بعث موسولينى بفرق الفاشيست فاحتلت ألبانيا ؛ وكانت هاتان الصفعتان كافيتين لأن تيقظا أوروبا من ثباتها العميق لادراك الخطر الذى يهدد السلم العالمى ، وأعلنت بريطانيا وفرنسا اعتزامهما الدفاع عن استقلال بولندة ورومانيا واليونان . . ، ثم بدأت المفاوضات السياسية بين فرنسا وبريطانيا فى جانب والروسيا فى الجانب الآخر ، لانشاء جبهة متحدة ضد أى اعتداء جديد . . .

وفى الرابع عشر من ابريل بعث الرئيس روزفلت برسالتين شخصيتين إلى هتلر وموسولينى يذكرهما بأن مئات الملايين من سكان العالم يعيشون فى خوف ورعب من إعلان حرب عامة جديدة ، أو قيام سلسلة جديدة من الحروب يقاسى فيها الناس على السواء الأمرين سواء أكانوا غالبين أو مغلوبين أو حتى لو بقوا على هامش الصراع لا يشتركون فيه .

وعرض الرئيس روزفلت أن تتدخل الولايات المتحدة ـ فى حالة تأكيد عاهلى ألمانيا وإيطاليا بعدم استخدام قوة مسلحة لغزو أى من دول أوروبا أو الشرق الأدنى المستقلة ـ فى مفاوضات سياسية لحل مشكلة التسليح . . . وإيجاد وسيلة للتجارة

الدولية على قاعدة المساواة بين الأمم . . ، وختم روزفلت كلا من رسالتيه بأن قال إن رؤساء الحكومات كلها فى تلك الساعة العصيبة إنما يتحملون مسئولية مستقبل البشرية فى السنين القادمة . . .

ولم يصل أى رد مباشر لا من هتلر ولا من موسولينى ، إلا أن هتلر فى خطاب له قال بأن جيران ألمانيا يعرفون بأن لا نوايا عدائية لها ضد جيرانها كلهم ، وأن كل هؤلاء الجيران قد قدمت لهم الضمانات التى يطالب بها الرئيس روزفلت .

وفى الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٣٩ تحدث الوزير هل بأن الحرب لا يمكن أن تعتبر وسيلة لتنظيم الخلافات السياسية ، وأن الموارد الموجودة تمكن كل الأمم من أن تحيا فى رخاء اقتصادى . وختم الوزير الامريكى حديثه بأن قال : « وقريبا أم بعيدا سيأتى اليوم الذى تجد فيه الأمم الميالة إلى السلم والراغبة فيه أنه الأفضل لها أن تتسلح وأن تستعد للحرب بدلا من أن تعيش فى ظل عبودية للقوة » .

وفى كل هذا الأمد الذى مر منذ أن انصرفت أمريكا عن شئون أوروبا كانت الولايات المتحدة تلتزم جانب الحياد الدقيق ، ولم تكن كل عمليات التدخل التى يقوم بها الرئيس روزفلت أو الوزير هل يمكن أن تعتبر أكثر من رغبة فى إيجاد قاعدة لسلم عالمى لا أثر فيه للانحياز إلى جانب ما . . ، ولكن بسبب التطورات التى مرت منذ عام ١٩٣٤ حتى نهاية عام ١٩٣٨ وجد الرئيس روزفلت أن هذا الدور من الحياد الذى تقوم به الولايات المتحدة قد يعطى مساعدة للمعتدى فى الوقت الذى يمنع من مساعدة الدول المعتدى عليها ، ولهذا بدأ عام ١٩٣٩ برسالة إلى مجلس الكونجرس ينتقد فيه أسس الحياد الذى تلتزمه الولايات المتحدة والذى وضعت قوانينه فى عام ٣٥ ثم أضيفت إليه تعديلات قوت من نصوصه فى عام ١٩٣٦ ثم فى عام ١٩٣٧ ، وأهم هذه النصوص الاعتراضات التى وجهت ضد إرسال الأسلحة للمتقاتلين، ولكن هذه الدعوة لم تلق تأييدا من أعضاء المجلس .

وفى ٢٧ مايو ١٩٣٩ حاول هل أن يقيد تصدير الأسلحة بإضافة نص عدم تعرض الأفراد الأمريكيين والسفن الأمريكية لأعمال المتقاتلين .

وكانت فكرة كورديل هل فى أنه تبعاً للحال المضطربة فى العالم كله فان الخطوة الأولى لإبقاء الولايات المتحدة بمنآى عن الحرب هى أن تستعمل نفوذها

لجعل هذه الحرب محصورة فى دائرة ضيقة ، أى أن لا تكون حربا عامة كسابقتها . ولكن مجلس الكونجرس قرر أن لا ينظر أى شىء قبل دورة الانعقاد القادمة .

ثم صدر تصريح مشترك فى الثامن عشر من يوليو وقعه الرئيس روزفلت والوزير كورديل هل جاء فيه أن عدم القيام بعمل حاسم يضعف مركز الولايات المتحدة كدولة تتولى الرياسة المعنوية للأمم ، كما يقلل قيمة مجهودها فى الاحتفاظ بالسلم بين الأمم الأخرى فى حالة نشوء أزمة أخرى فى أوروبا بين يوليو ويناير التالى ...

وفى هذا الوقت حدثت أزمة أغسطس ١٩٣٩ ، الأزمة التى بدأها هتلر فى أبريل بالضغط السياسى على بولندة ، ثم جاءت الأنباء بالاتفاقية الروسية — الألمانية فى الحادى والعشرين من أغسطس ..، وبعد يومين اثنين من هذا أرسل الرئيس روزفلت رسالة خاصة إلى ملك إيطاليا يكرر فيها ما سبق أن اقترحه فى الرابع عشر من أبريل .

وفى اليوم التالى بعث برسالتين أولاهما إلى هتلر والثانية إلى رئيس جمهورية بولندة يطلب فيهما حل كل مشاكل البلدين عن طريق المفاوضات السلمية ، وعند ما تسلم فى اليوم التالى رد بولندة بأنها عند حسن ظنه بها ، كتب مرة ثانية لهتلر رسالة أجمل فيها الرد البولندى .

ولكن هتلر كان قد أجمع أمره فكانت الحرب ..، وكان الرد الرسمى الوحيد الذى وصل أمريكا مذكرة بعث بها سفير ألمانيا إلى إدارة الشئون الخارجية بعد ظهر يوم أول سبتمبر — بعد أن كانت الحرب قد بدأت فعلا — يقول فيها إن المستشار هتلر لم يترك أى وسيلة لاتفاقية تقوم على أساس الصداقة ولكن كل هذه المحاولات ضاعت هباء بسبب موقف بولندة .

وفى الخامس من سبتمبر ١٩٣٩ تحدث الرئيس روزفلت فى المذياع معلنا حياد الولايات المتحدة طالباً من كل أمريكى أن يتبع نصوص الحياد الدقيق إلى غاية ما تعنى الكلمة .

ولكن سلامة الولايات المتحدة .

وسلامة الولايات المتحدة لها بدورها نصيب من الأمر ، لأن الاطلانطيق والباسفيك لا يمكن أن يكون أيهما المانع الذى يضمن عدم وصول الحرب إلى أمريكا ... ، واذن فمن الضرورى لسلامة الولايات المتحدة أن تقوى الناحية التى تقاوم الاعتداء المبنى

على الطغيان ، وإذا كان من المحال أن ترسل الإمدادات من الرجال فلتكن من عتاد الحرب ، وإذا كان الرئيس روزفلت قد أصدر بعد أيام قليلة من إذاعته عن الحياد أوامر باعداد القوات الأمريكية إلى الحال التى يتطلبها الموقف فى أوروبا ، فقد بات لزاما أيضاً أن يزود أولئك الذين يقفون للدفاع فى وجه النازية بحاجتهم . وفى الرابع عشر من نوفمبر بات اصطلاح « ادفع واحمل » قانوناً بأغلبية ٣٣ صوتاً فى مجلس الشيوخ و ٦٢ صوتا فى مجلس النواب ، وبعد ثلاثة أيام فقط كونت لجنتان انجليزية فرنسية لشراء معدات الحرب من أمريكا ، وفى السادس من ديسمبر عين الرئيس روزفلت لجنة أمريكية لمراقبة تنفيذ برنامج مشتريات الحلفاء من الأسلحة والذخائر .

وبدأت أمريكا تستحق اللقب الذى أعطى لها بأنها مصنع أسلحة الديمقراطية .

وجاء عام ١٩٤٠ والموقف كما هو فى غرب أوروبا... تراشق بالقنابل بين ماجينو وسيجفريد ، وفجأة فى العاشر من مايو غزا الألمان هولندة وبلجيكا واخترقوا خط ماجينو ، وبدأ المد والجزر حتى وصل الانجليز إلى قنال المانش ليعبر ثلاثمائة ألف مقاتل البحر إلى الجزر البريطانية وهم لا يحملون من عتاد الحرب شيئاً إلا ذكريات قتال مجيد بالأمس... وسقطت فرنسا . وبدأ موقف لم يعد أحد فى العالم كله نفسه لمواجهته فقد بعث ونستون تشرشل إلى أمريكا يطلب كل شىء — كل ما يمكن إرساله للدفاع عن بريطانيا ولمعاونة فرنسا .... لو تابعت فرنسا الكفاح .

ولكن ما كان موجودا إذ ذاك كان مطلوبا للقوات الأمريكية وكان بعضه قد تم تسليمه فعلا ... ، وقام نقاش جدلى ولكنه لم يكن بيزنطيا فقد وجد الحل الذى يتمشى مع حياد الولايات المتحدة ومع القانون الدولى ومع اتفاقية بريان — كيلوج ، وما أعجب السياسة !!!

وأعاد الجيش إلى المصانع الأسلحة التى كان قد تسلمها وهذه أرسلتها من فورها إلى بريطانيا مادام قانون « ادفع واحمل » لازال سارى المفعول ، ووصلت أغلب السفن التى حملت هذه الأسلحة والطائرات إلى بريطانيا فى يوليو ، واستطاعت مليون يد قادرة على حمل السلاح أن تجد ما يدفع عنها العدو.. ، وبينما وقف هتلر مترددا أمام قنال المانش كانت السفن تسرع السير مجدة إلى بريطانيا ، وكانت المصانع الإنجليزية بدورها تعمل ليل نهار ... ، ووقفت بريطانيا أمام النازية المنتصرة... وحدها فى رأى الناس . ، ولكنها لم تكن وحدها للحق والتاريخ . . . بل كانت من ورائها الولايات المتحدة .

كانت الولايات المتحدة لا تزال فى عرف القانون على الحياد ، ولكن كانت سلامة الولايات المتحدة أولى بالعناية وأجدر بالتقدير ، وهكذا كان توالى الأيام هو الذى يوجه الولايات المتحدة إلى الاشتراك فى الحرب .

وفى سبتمبر ١٩٤٠ نزلت الولايات المتحدة عن خمسين مدمرة من أقدم مدمراتها لبريطانيا ثمنا لبعض القواعد البحرية فى الاطلانطيق وفى جزر الهند الغربية ، وكانت المساومة عادلة لأن الأسطول الانجليزى كان جد مشغول بالمياه البحرية فى أوروبا والشرق الأدنى ... ، وكان لزاما أن تحرس الولايات المتحدة خطوط الاقتراب إليها ... فكانت هذه القواعد البحرية لازمة للأسطول الأمريكى ما فى هذا من شك ، ولم يكن فى هذا ابتداعا فان هليجولاند نفسها كان الانجليز قد باعوها من قبل للألمان ...

على أن مجهودات الرئيس روزفلت السلمية كانت فى طوال هذا مستمرة .. وكانت آخرتها بالنسبة لأوروبا رسائله الخاصة إلى السنيور موسولينى لإبقاء إيطاليا بعيدة عن الحرب ... ، ولكن موسولينى هو الآخر ظن أن الساعة قد اقتربت (ولا يمكن أن تغيب إيطاليا فى اللحظة التى ينظم فيها مستقبل أوروبا) .

وكان آخر رد لموسولينى فى أول يونيو ١٩٤٠ وفيه يقول (إن أى ضغط جديد من الرئيس روزفلت إنما يزيد من إصراره على اشتراك إيطاليا فى الحرب) ، ولكن كان اشتراك إيطاليا فى الحرب فضيحة الأجيال لأنها لم تشترك فى الحرب إلا لتطعن فرنسا الجريحة وهى تقاتل بيد واحدة وسيف محطم ضد عدو قوى مملوء بزهو الانتصار

وبقيت المصانع الأميركية تعمل لإجابة مطالب بريطانيا ولتسليح القوات الأميركية ... والمصانع الأميركية قادرة على أن تفعل العجائب ، ولكن جاءت مشكلة جديدة هى مشكلة القدرة على الدفع ... ، فإن بريطانيا يجب أن تدفع بالدولار لأنها لو دفعت بالجنيه الاسترلينى فإن هذا النقد لا يصلح للتعامل فى أمريكا . ، ثم إن المصانع الإنجليزية قد انصرفت للإنتاج للحرب فلن يجد أهل الولايات المتحدة فى بريطانيا كل مايجب أن يبتاعوه لتغطية هذا النقد ، وإذن فلتستخدم بريطانيا مالديها من احتياطى الدولارات الأمريكية والذهب وهذا كله له نهاية قربت أو بعدت إلا أنها قادمة . . .

وفى يناير ١٩٤١ جاء هذا اليوم ولم تستطع بريطانيا الدفع . . .

ويذكر الصحفيون الذين زاروا الرئيس روزفلت فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٤٠ القصة التى حدثهم بها إذ ذاك . . .

« لو حدث أن اشتعلت النار فى منزل جارى وكان لدى خرطوم فى الحديقة يصل لمسافة خمسمائة قدم قد أستطيع به أن أعاونه على إطفاء النار ، فهل أحمل الخرطوم وأقول له : ياصديق إن هذا الخرطوم قد كلفنى خمسة عشر دولارا أدفعها لى أولا ثم خذ الخرطوم ، بالطبع لا..، إن كل ماأطلبه هو أن يرجع إلى الخرطوم بعد أن يطفىء النار التى تحرق منزله وبذلك أستعيد خرطومى كما أننى أربح عدم وصول النار إلى منزلى . . »

فكانت هذه القصة هى أساس قانون الاعارة والتأجير ... أقوى سلاح من أسلحة القتال عرفه العالم فى الحرب العالمية الثانية .

وفى العاشر من يناير عام ١٩٤١ قدم الرئيس روزفلت اقتراحه بقانون الاعارة والتأجير . ، وهو قانون لم يتحدث فى معاونة بلا مقابل . . . بل قيل أن بريطانيا ستدفع نقدا من الذهب أو الدولارات وتدفعا نقدا نوعيا من الصناعات أو الممتلكات وتقدم منافع مباشرة أو غير مباشرة يرى الرئيس روزفلت أنها كافية .

ولكن الأمر مع هذا كان مثار نقاش طويل هذه المرة لأن الكثيرين كانوا لازالوا يرون أن الولايات المتحدة بمنجاة من أى خطر ، وفى الثامن من فبراير اجتاز القانون أروقة مجلس النواب بأغلبية ٢٦٠ صوتاً ضد ١٦٥ ، وفى الثامن من مارس اجتاز أروقة مجلس الشيوخ بأغلبية ٦٠ صوتا ضد ٣١ مع تعديلات طفيفة أعادته إلى مجلس النواب ، فتم التصديق عليه فى الحادى عشر من مارس بأغلبية ٣١٧ صوتاً ضد ٧١ صوتا .

وفى الخامس عشر من مارس قال روزفلت « ليقلل الديكتاتوريون فى أوروبا وآسيا الآن من حيويتنا ونشاطنا ، قد تجىء قرارات الديمقراطية بطيئة ولكنها عند ما تتم لا تكون من صوت رجل واحد بل من أصوات مائة وثلاثين مليوناً من النفوس » .

وقد كان هذا حقا... لأن أمريكا كانت بدورها قد أجمعت أمرها على الوقوف كرجل واحد فى وجه الطغيان ، فكان يوم ١١ مارس ١٩٤١ بداية فترة التأهب

للاشتراك فى الحرب هذه الفترة التى انتهت فى ديسمبر ١٩٤١ عند ما أغار اليابانيون على ميناء بيرل ، فبدأت حال الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ثم بينها وبين ألمانيا وإيطاليا .

وهكذا باتت الولايات المتحدة فى مقدمة الدول المتحدة بعد أن نفضت يديها من العزلة التى جاءت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

* * *

والآن إلى الغد . . .

إلى ما بعد الحرب . . .

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب « بين حربين »
فى يوم الاثنين ٥ من شهر ربيع الثانى سنة
١٣٦٤ هـ . (١٩ من شهر مارس سنة
١٩٤٥ م) .

مدير المطبعة
رستم الحلبى

المـــراجع

توجد فى صفحات هذا الكتاب سطور كان يجب أن ترد إلى أصولها التى نقلت عنها ، ولكن لعوامل فنية خاصة بصف الحروف أغفل هذا إلا لماما عند الاشارة إلى كتاب ما على التخصيص وسط سطور الحديث نفسه ، على أن الكتب الآتية قمينة بالدرس حرية بالمراجعة .

Why War.	by. C.E M. JOAD.
Searchlight on Spain.	» DUCHESS OF ATHOLL.
German Strategy of the World Conquest.	» DERWENT WHITTLESEY
Let the Record Speak.	» DOROTHY THOMPSON.
Germany Puts the Clock Back.	» EDGAR MOWRER.
What Hitler Wants.	» E.O. LORIMER.
Versailles Statistical Truth	» F.K. BIELIJK.
Blackmail or War.	» GENEVIEVE TEBOUIS.
Europe & the Czechs.	» GRANT DUFF.
Inside Europe.	» JOHN GUNTER.
History of Our Own Times.	» MICHAEL FOOT.
The French Yellow Book Official diplomatic documents.	» (FRANCE)
The Government Blue Book Offlclal documents.	» (GREAT BRITAIN).
United States Forriegn Policy (1931—1940).	» (PEACE&WAR).
Official Documents.	» (U.S.A).
The Time is Now.	» PIERRE VAN PAASSAN.
Political and Stratigical Interests of the United Kingdon.	» ROYAL INISTITUTE OF INTERNATIONAL AFFAIRS. (Oxford University)
Not Peace but a Sword.	» VINCENT SHEAN.
The new German Empire	» Dr. BORKENAW.
One Man Againest Europe.	» KONARD HELDEN.
Foriegn Capital in Poland.	» L. WELLISY.
Germany what Next ?	» RICHARD KEANE.
Poland the key of Europe.	» R. L. BULL.
The poland of Pilsudski.	» ROBART MACHRAY.
Poland Economics.	» ROMAN GORECKI.
Poland	» W. J. ROSE.

فهـــرس

تمهيد	صفحة ٥
قصة معاهدة فرساى	« ٧
ثوران البركان	« ١٥
وجوه جديدة على مسرح العالم	« ٢٣
سلاماً لوكارنو	« ٢٩
عند ماجنت أمريكا	« ٣٥
الرجل الذى كان يستطيع إيقاف هتلر	« ٤٣
أوروبا تتفكك	« ٥١
دماء فى اسبانيا	« ٥٧
مأساة مونيخ	« ٦٥
الذبيحة الأخيرة	« ٩١
الولايات المتحدة فى مفترق الطرق	« ١٠١

DATE DUE

NOV 2 8 1988

1 5 MAR 1992

A.U.C.

1 9 APR 2000

JAN 197

JAN 1975

i 14967868
B13154746

D
727
I 3x
1945